
دراسات اسلامية هادفة
٢
الاشاعة
الدكتور
احمد نوفل
الجامعة الاردنية: كلية الشريعة
دار الفرقان



توزيـــع
دار الفرقان للنشر والتوزيع
عمان ص٠ب ٩٢١٥٢٦ ـ هاتف ٦٦٠٩٣٧

السعر : نصف دينار

جمعية عمال المطابع التعاونية ـ عمان

الاشاعـــة

الطبعة الثالثة

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

الرقم المتسلسل (٤١)

الطابعون

جمعية عمال المطابع التعاونية

عمان ـ تلفون ٣٧٧٧١ ـ ص.ب ٨٥٧

سلسلة الحرب النفسية

(١)

الاشاعـــة

تاليـــف

الدكتور أحمد نوفل

الجامعة الأردنية ـ كلية الشريعة

دار الفرقان للنشر والتوزيع

جبل الحسين ـ شارع خالد بن الوليد

ص.ب (٩٢١٥٢٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــد

عن النفس الانسانية يصدر السلوك ، وتنبثق المواقف ، وهي بما تحوي من عقائد وأفكار ومفهومات مناط الوجود الانساني وسبب التغيير الرباني :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

والنفس عالم واسع هائل قابل للتغير والتشكل والصعود والهبوط ، والله تعالى جعلها كذلك ليبتلي الانسان ويمتحنه كما قال سبحانه : « ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » .

والله عز وجل أمر الانسان أن ينظر في نفسه ، ليرى تلك الآية المعجزة : « وفي الأرض آيات للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون ؟! » . « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

ومنذ فجر التاريخ والصراع دائر بين الناس على كل شيء ، وعلى السيطرة على النفس الانسانية باعتبارها مجالا مهما من مجالات الصراع .

ولقد حاول العلم أن يتعرف الى النفس الانسانية ، ثم وظفت هذه المعرفة في محاولة السيطرة على هذه النفس ، وسميت هذه المحاولات أو هذا اللون من الصراع ، الحرب النفسية ، أو حرب المعنويات ، أو حرب الكلمة والمعتقد ، وهي ما عرفته أجهزة الاعلام باسم الحرب الباردة ، انطلاقاً من أنها لا يستعمل فيها النار ، ووسائل التدمير المادية ، ولا يسمع فيها دوي الانفجارات ، ولا يقع فيها صرعى أو جرحى ، ومع هذا فهي الأهم والأطول والأخطر ٠

٠ والواقع أن العلم العسكري وخبرة الحروب يجمعان على أن الحرب النفسية سلاح فعال وشديد التأثير في المعركة ، ويساهم مساهمة كبيرة مع أعمال القتال وغيرها من أساليب الصراع في تحقيق الانتصار بسرعة وبأقل الخسائر في الأرواح والمعدات ٠

والحرب النفسية أخطر أنواع الحروب لأنها تستهدف في المقاتل عقله وتفكيره وقلبه ، لكي تحطم روحه المعنوية وتقضي على ارادة القتال فيه ، وتقوده بالتالي نحو الهزيمة ٠

ومن هنا جاءت خطورة سلاح الحرب النفسية الذي أصبح في العصر الحديث يحتل مكان الصدارة بين أسلحة الحروب ، والذي يؤمن العسكريون بأنه قد يكون أشد أثراً من الأسلحة الأخرى في تحقيق هدف النصر بسرعة وبأقل الخسائر ، وهذا هو ما عبر عنه الرسول القائد عليه الصلاة والسلام بقوله : « خلّ عنه يا عمر ، فوالذي نفسي بيده لكلامه أشدّ عليهم من وقع النبل » .

ولقد نوه القادة والزعماء بأهمية الحرب النفسية وأثرها في ادارة الصراع وفي نتائجه ، فمن ذلك قول القائد الالماني رومل : « ان القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم » .

وقول الجنرال ديغول : « لكي تنتصر دولة ما في حرب عليها أن تشن الحرب النفسية قبل أن تتحرك قواتها الى ميادين القتال ، وتظل هذه الحرب تساند هذه القوات حتى تنتهي من مهمتها » .

ويقول تشرشل : « كثيراً ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ » .

وتعرف الحرب النفسية بأنها :

« الاستخدام المخطط للدعاية أو ما ينتمي اليها من الاجراءات الموجهة الى الدول المعادية أو المحايدة أو الصديقة بهدف التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب هذه الدول بما يحقق للدولة الموجهة أهدافها »[1] ·

« والاشاعات جزء حيوي من الحرب النفسية ، وهي وسيلة البلبلة في الحرب والسلم · والبلبلة الفكرية والنفسية مفتاح الى تغيير الاتجاهات واللعب بالعقول ثم السيطرة والتحوير الفكري ، وغسل الدماغ ·

والاشاعة سلاح بيد المنحرفين يستعمل للسيطرة على الاتجاهات الشعبية وزعزعة الوحدة الفكرية والانتماء والتماسك الاجتماعي »[2] ·

ونحن في العالم الاسلامي نتعرض لأخطر حرب نفسية وأكثرها تركيزاً وشراسة ، وذلك من منطلق

---

(١) المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية ، تاليف اللواء جمال الدين محفوظ ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب لسنة ١٩٧٦ ، ص ١٢٠ - ص ١٢١ ·

(٢) غسل الدماغ لفخري الدباغ ، ص ٢٧٠ ·

كوننا حَمَلَةَ الرسالة الخاتمة التي اراد الله لها أن تظهر على الدين كله ، ولكوننا أصحاب أعظم ثروات يُنتظر لأصحابها ان هم تحركوا في الاتجاه السليم أن يسودوا العالم ٠ ولذلك شنت هذه الحرب لتهديم النفوس ، وشل الارادات ، وتمييع العزائم ، ليبقى الشعور بالتبعية والهزيمة الروحية والفكرية ، وليبقى الشباب والمفكرون والسياسيون لاهثين وراء المعسكرات، وهم لو صحّت منهم النوايا كانوا السادة والقادة ، وجاءتهم الأمم تقبس منهم وتلتمس الهدى والنور ٠

هي اذن الحرب النفسية الدائبة : « ولا يزالون يُقاتلونكم حتى يردوكم عـن دينكـم ان استطاعوا » البقرة ٢١٧ ٠

« ولتسمعنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً » آل عمران ١٨٦ ٠

ولقد آتت هذه الحرب أكلها ، ووصلت الى نتائجها لأول مرة في تاريخ المسلمين : هزيمة روحية ، وشعوراً بالتفوق المنهجي الغربي ٠

والدعاة الى الله في العالم الاسلامي هم راس الحربة ، والطليعة التغييرية ، ولذلك جُردت لهم وحدهم حملة مركزة من هذه الحرب ، وأطلقت من حولهم الاشاعات تبغي تشويه صورتهم ، فلا يعودون يمثلون دور الريادة الفكرية • ولقد نجح الأعداء في الجولة الأولى لهذه الحرب ، الا أن حدة الهجمة بدأت تنكسر ، وينعكس المد لصالح الدعاة •

ومن هنا ، ولخطورة الحرب النفسية ، كان لا بد من المامة سريعة باهم وسائلها وهي الاشاعة • فكانت هذه الصفحات ، على أن نعاود الكتابة في الموضوع باذن الله ، بصورة أشمل ، ولنتحدث عن سائر وسائل الحرب النفسية •

والموضوعات التي بحثناها باختصار في هذه العجالة عن الاشاعة هي :

١ ـ تعريف الاشاعة •

٢ ـ الاشاعة في التاريخ •

٣ ـ كيف تنشأ الاشاعة وأساب ظهورها •

٤ ـ دوافع الاشاعة ٠

٥ ـ الاشاعة والتذكر ٠

٦ ـ أنواع الاشاعة ٠

٧ ـ تحليل الاشاعة ٠

٨ ـ الاشاعة في السلم والحرب ٠

٩ ـ استراتيجية وتكتيك الاشاعة ٠

١٠ـ الاشاعة والمثل والنكتة ٠

١١ـ الاشاعة والروح المعنوية ٠

١٢ـ الاشاعة والرأي العام ٠

١٣ـ الاشاعة بيننا وبين العدو الاسرائيلي ٠

١٤ـ خطر الاشاعة ٠

١٥ـ تفنيد ومقاومة الاشاعة ٠

واني اذ أحمد الله تباركت أسماؤه وتقدست صفاته على ما وفق وأعان في انجاز هذه الصفحات لأسجل على نفسي التقصير قبل أن يسجل علي ، فاني أعرف من

نفسي قلة الزاد وضعف الملكة ، وقلة الجلد ، ونقص الخبرة ، وأموراً أخرى ، ولكني منه سبحانه ألتمس العفو عن قلة الاحسان في خدمة قضايا المسلمين وما يشغلهم ، ثم أعتذر من اخواني القراء ـ بارك الله فيهم ورزقنا واياهم القبول ـ سائلا منهم الدعاء والتوجيه ٠

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك ٠

تعريف الاشاعة

تعريف لغوي :

قال في اللسان تحت مادة «شيع» :

« شيعت فلاناً اتَّبَعْتُه' · وشايعه : تابعه وقَوَّاه ويقال : شاعك الخير : أي لا فارقك · ومنه تشييع النار بالقاء الحطب عليها · وشيعه : خرج معه عند رحيله ليودعه ·

وتشيَّعَ في الشيء : استهلك في هواه · والشيوع : ما أوقدت به النار ·

يقال : شيَّعَ الرجلَ بالنارِ : أحرقه · والمشيع : العجول · والشِّياع : صوت قصبة الراعي وشبابته ·

وأشاع بالابل وشايع بها وشايعها مشايعة : أهاب بمعنى صاح ودعا ·

وشاع الشيب : انتشر · وشاع الخبر : ذاع · وأشاع ذكر الشيء : أطاره · أشعت المال : فرقته ·

والشاعة : الاخبار المنتشرة · ورجل مشياع : أي مذياع لا يكتم سراً · وشاع الصدع في الزجاجة : استطار » أ· هـ·[1] ·

وقال الراغب الاصفهاني في المفردات : شيع : الشياع : الانتشار والتقوية · يقال : شاع الخبر أي كثر وقوي · وشاع القوم : انتشروا وكثروا · وشيعت النار بالحطب : قويتها · والشيعة : من يتقوى بهم الانسان وينتشرون عنه ، ومنه قيل للشجاع مشيع · يقال : شيعة وشيع وأشياع · قال تعالى : « وان من شيعته لابراهيم » · « هذا من شيعته وهذا من عدوه » « وجعل أهلها شيعاً » · « في شيع الأولين » · « ولقد أهلكنا أشياعكم »[2] ·

قلت : وفات الراغب أن يذكر الآية الكريمة : « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة ··· » ·

وفي معجم مقاييس اللغة نلاحظ أن المادة شيع أيضا تاتي بمعنى قريب من معنى مادة شيع فهي بمعنى :

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، جـ ١٠ ص ٥٦ ·
(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب ، ط الحلبي ، ص ٢٧٣ ؛

تفرق وانتشر ، ومن ذلك شعاع الشمس . والشعاع – بالفتح – : الدم المتفرق[٣] .

والمعنى المشترك البارز بين هذه المعاني اللغوية لمادة شيع هو الانتشار والتكاثر ..

التعريف الاصطلاحي :

هناك عدة تعريفات للاشاعة تضمنتها المراجع التي كتبت عن هذا الموضوع ، وهذه بعض تلك التعريفات :

عرفها أولبورت في كتابه سيكولوجية الاشاعة بأنها :

« كل قضية أو عبارة مقدمة للتصديق ، تتناقل من شخص الى شخص ، دون أن تكون لها معايير أكيدة للصدق »[٤] .

وقد ترجم صلاح نصر تعريف اولبورت ترجمة أخرى فقال :

« هي اصطلاح يطلق على رأي موضوعي معين كي يؤمن به من يسمعه ، وهي تنتقل عادة من شخص الى

---

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، ج ٣ ص ١٦٧ .

(٤) سيكولوجية الاشاعة ، وليام اولبورت ، ترجمة صلاح مخيمر ، ص ١٥ .

آخر عن طريق الكلمة الشفهية دون أن يتطلب ذلك مستوى من البرهان أو الدليل »[5] .

وفي تعريف آخر قالت عنها مجلة الفكر العسكري بأنهـــا :

« بث خبر من مصدر ما في طرف معين ، ولهدف ما يبغيه المصدر دون علم الآخرين ، وانتشار هذا الخبر بين أفراد مجموعة معينة »[6] .

أو هي :

« الأحاديث والأقــوال والأخبــار التي يتناقلهــا النــاس ، والقصص التي يروونهــا دون التثبت مــن صحتها أو التحقق من صدقها »[7] .

ويعرفها اللواء جمال الدين محفوظ بأنها :

« أخبار مشكوك في صحتها ويتعذر التحقق من أصلها ، وتتعلق بموضوعات لها أهمية لدى الموجهة

---

(٥) الحرب النفسية لصلاح نصر ، جـ ١ ص ٣٠٢ .
(٦) مجلة الفكر العسكري ، السنة الرابعة عدد ١ سنة ١٩٧٦ .
(٧) مجلة الأقصى العسكرية .

اليهم ويؤدي تصديقهم أو نشرهم لها الى اضعاف روحهم المعنوية »[8] .

أو هي :

« النبأ الهادف الذي يكون مصدره مجهولا ، وهي سريعة الانتشار ذات طابع استفزازي أو هادىء حسب طبيعة ذلك النبأ »[9] .

وكما نلاحظ فان هناك رابطاً بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ، وعاملا مشتركا هو الانتشار والتزايد .

---

(8) المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية ، ص ١٢٢ .

(9) الرأي العام الاسلامي وقوى التحريك لزهير الأعرجي ، ص ٤٤ .

الاشاعة في التاريخ
كما نستخلصها من قصص القرآن

الاشاعة قديمة قدم الجماعة الانسانية ، وينتظر أن تعيش ما عاش الانسان ، ولا يكاد يخلو مجتمع منذ فجر التاريخ من اشاعة ، لأن النفس الانسانية فيها القابلية لهذا الأمر ، وفيها الاستعداد ان لم تتهذب بالقدر الكافي .

وبقراءة في تاريخ الأنبياء عليهم السلام وقصصهم نجد أن كلا منهم جوبه باشاعة وقاومه قومه بفرية يطلقونها حوله ، ويبثونها ، ويتوارثونها أحياناً .

فهذا نوح عليه السلام اتهم من قومه بأنه : « يريد أن يتفضل عليكم » . المؤمنون ٢٤ ومعنى يتفضل يتزعم ويتأمر . ولاحظ أن الخطاب موجه للجمهور وليس مواجهاً به نوح ، وفي هذا دلالة هي أن المقصود من الحملة هو المحافظة على الجماهير في وضع معين ، وفي حالة متجمدة على ما هي عليه ليستمر ابتزازها وتسخيرها .

وقد اتهموه وجماعته المؤمنة اتهاماً آخر فقالوا : « بل نظنكم كاذبين » هود ٢٧ ومرة ثالثة رموه بالضلال مؤكدين اتهامهم هذه المرة ، وليسوا ظانين مترددين كالمرة السابقة : « انـا لنـراك في ضلال مبين » • الأعراف ٦ •

ثم يشاع عنه الجنون ، عليه السلام : « وقالوا مجنون وازدجر » القمر ٩ •

وهود عليه السلام يواجه التقولات والتخرصات الشبيهة بما لفق لأخيه نوح ، فيرميه قومه بالطيش والخفة : « انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين » الأعراف ٦٧ •

وهنا ملاحظة نفسية على طبيعة المشيع ، أنه في المرتين حين الاتهام بالكذب واشاعته على الأنبياء كان القول بصيغة «نظن» ، ذلك أن صدق الأنبياء معروف مشهور في أقوامهم من خلال التجربة الطويلة ، ولذلك لا يكون من الكياسة ولا من الدهاء الجزم والقطع به أمام الجماهير ، والقطيع من الرعاع الذين يتبعون الملأ ، فيطلقون الاشاعة بصيغة «نظن» ، والنتيجة هي هي •

أمـا في القذف بالضلال أو السفاهـة فيجزمون ويؤكدون لأن هذه الاتهامات محتملة التصديق والتلبيس على قطعانهم لمخالفة الأنبياء واقع القوم وعقائدهم ، ولا يفعل هذا في نظرهم الا سفيه أو ضال ، فكان التأكيد في اطلاق الاشاعة ·

ويا لدقة القرآن ولقطاته النفسية !!

وملاحظة أخرى أن الملأ هم الذين كانوا يتولون تصنيع واطلاق ونشر الاشاعات ، لأنهم أصحاب المصلحة في معارضة دعوات الأنبياء حتى تبقى لهم السيطرة على القطعان ، ثم يردد القوم ما أطلق الملأ من اشاعات بلا وعي وتبعية عمياء ·

ثم يشيع قوم هود عنه أنه أصيب في عقله نتيجة غضب بعض آلهتهم عليـه ، ولذلك صار يهذي بمـا يخالف المجتمع وتقاليده ومألوفاته :

« وقالوا يا هودُ ما جئتنا ببينة وما نحنُ بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين · انْ نقولُ الا اعتراكَ بعضُ آلهتنا بسوء قال اني أشهدُ اللهَ واشهدوا أني بريءٌ مما تُشركون » هود ٥٣ ـ ٥٤ ·

وشريط قصص الأنبياء يُظهر أن سلسلة الرسل الكرام كلها واجهت هذه المفتريات ، فلا نطيل بسردها وعرضها في حلقاتها المتشابهة ، ونعرض نماذج مما لم يكرر ، فهذا موسى عليه السلام يحمل دعوة ربه الى فرعون وملائه وقومه ، فيملأ فرعون سماء مصر ويسمم الأجواء من حوله بما يطلق عليه من شائعات فيقول :

« انَّ هذا لساحر عليم يريدُ أنْ يُخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تامرون » الشعراء ٣٤ • ولقد تكرر ذكر اتهام فرعون لموسى بالسحر مرات عديدة في القرآن وبصور متعددة ، مرة على لسان فرعون ، وبصيغ متعددة ، ومرة على لسان الملأ ، وبصيغ متعددة أيضا ، وبعد ذلك يردد الشعب المستغفل •

ومما قال فرعون : « أجئْتَنَا لتُخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى » طه ٥٧ •

وفي آية أخرى يعبر فرعون عن اتهامه لموسى بالظن فيقول : « اني لأظنك يا موسى مسحوراً » الاسراء ١٠١ •

وفي مـرة أخرى يردد فرعون التهمة بين السحر والجنون فيقول كما في سورة الذاريات ٣٩ : « فتولى بركنه وقال ساحرٌ أو مجنون » •

ومرة أخرى يجمع الى السحر تهمة الكذب : « .. الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب » غافر ٢٤ .

وأما الملأ فقد كرروا نفس مقولة فرعون : « قال الملأ من قوم فرعون انّ هـذا لساحر عليـم » . الأعراف ١٠٩ .

ثم أضاف القرآن التهمة الى القوم بأجمعهم حيث يظهر أن الاشاعة لقيت تصديقاً منهم وقبولا : « فلما جاءهم موسى بآياتنا قالوا ان هذا الا سحرٌ مفترى » القصص ٣٦ « فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين » يونس ٧٦ .

« قالوا : ان هذان لساحران يريدان أن يُخرجاكمْ من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكمُ المثلى » طه ٦٣ .

« قالوا : سحران تظاهـرا وقالوا : انـّا بكلٍّ كافرون » القصص ٤٨ .

ولقد انطلت عليهم الخدعة حتى بعد أن رأوا الآيات وخرب اقتصادهم وزرعهم وجاءوا يرجون موسى أن يدعو ربه لرفع الاصر عنهم ، حتى هذه اللحظة الحرجة

وهم يرددون الفرية : « وقالوا : يا أيها الساحر ادعُ لنا ربك بما عَهِدَ عندك ••• » الزخرف ٤٩ •

ولو تأملنا الآيات لوجدنا ان ما أشيع حول موسى ليس فرية واحدة ولكنها مجموعة افتراءات منها : السحر ، والكذب ، والافساد في الأرض : « أتَذَرُ موسى وقومهُ ليفسدوا في الأرض » ، والجنون ، واخراج المصريين من أرضهم ، وقد تكررت هذه التهمة بصيغ عدة : « أجئتنا لتخرجنا من أرضنا » طه ٥٧ ، « يريدان أن يخرجاكم من أرضكم » طه ٦٣ ، « يريد أن يخرجكم من أرضكم » الشعراء ٣٥ •

ثم تهمة أخرى حاولوا بها الطعن في أهداف الرسالة وأن موسى ما جاء الا للزعامة والظهور : « آجئتنا لتلفِتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكونَ لكما الكبرياءُ في الأرض » يونس ٧٨ •

واشاعة سابعة أطلقها فرعون من حول موسى وصفه فيها بأنه : « مَهِينٌ ولا يكادُ يُبِين » الزخرف ٥٢ •

واشاعة أخرى أن موسى ينكر الجميل والمعروف : « ألمْ نُربّكَ فينا وليداً ولبثتَ فينا من عمرك سنين » الشعراء ١٨ •

ثم اشاعة فاقعة من فرعون وصف فيها موسى بالكفر محاولا رد التهمة عن نفسه ، والصاق أوصافه بغيره ، ولم ينس أن يبني تهمته على مستند قانوني وهو قتل موسى للقبطي في أول شباب موسى :

« وفعلتَ فعلتكَ التي فعلتَ وأنت من الكافرين » الشعراء ١٩ ٠

وبرغم هذه الأراجيف والأباطيل والشائعات من حول موسى فان الحق ظهر واكتسح في يوم المبارزة ما صنع السحرة ، وأُلقيَ السحرة ساجدين ، فبهت فرعون أمام هذا المشهد ، وأسعفته حيلته ودهاؤه بأن يلجأ من جديد الى تلفيق الاشاعات ، فنسب الى موسى أنه كان رتب الأمور مع السحرة ، وأن سجودهم وايمانهم محض تمثيل ، واتفاق كيدي لمآرب يحققونها جميعاً ، وقد سجلت عدة سور هذه المفتريات من فرعون ، منها :

« ان هذا لمكر" مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون » الأعراف ١٢٣ ٠ « قال آمنتم له قبل أن آذنَ لكم انه لكبيركم الذي علمكمُ السحرَ » طه ٧١ ، والشعراء ٤٩ ٠

وينتصر الحق ، ويخرج موسى ببني اسرائيل من مصر ، ونظن أن الجو قد صفا الآن من سموم الشائعات والاقاويل الباطلات ، ولكن هيهات هيهات • انهم بنو اسرائيل ، آذوا موسى بما لم يؤذه فرعون ولا قومه ، وينقل لنا القرآن حالته النفسية وتوجعه من قومه وتاذّيه منهم في هذه الآية :

« واذ قال موسى لقومه يا قوم لِمَ تُؤذونني وقد تعلمونَ أنّي رسول الله اليكم •• » الصف ٥ ثم كانت نهاية المطاف في قصته عليه السلام أنْ طلب من ربه أن يفصل بينه وبينهم فقال : « ربّ لا أملكُ الا نفسي وأخي فافرقْ بيننا وبين القوم الفاسقين » المائدة ٢٥ •

* * *

وهذه مريم البتول عليها وعلى ابنها السلام ، يراها قومها وقد أتت بولدها تحمله ، فما يصطبرون ، وهم اليهود ، فيسألونها ويستبينون الحقيقة ، بل يطلقونها اشاعة قاتلة : « يا مريمُ لقد جئتِ شيئاً فرياً • يا أختَ هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانتْ أمك بغيًا » مريم ٢٧ ـ ٢٨ ، وفريًا : عظيماً • وأما ثناؤهم على أمها فغير مقصود انما هو تعريض بها •

ولولا أن السماء دافعت عنها بمعجزة تلوي الاعناق حين تكلم الطفل في المهد لكانت ورطتها مهلكة .

* * *

وفي قصة يوسف عليـه السلام ، وبرغم التكتـم والتحفظ الاعلامي الشديد من قبل قصر العزيز ، فان الاشاعة قد تفشت في نساء مصر ، وأبدأن فيها وأعدن ، وزدن وبالغن ، وقلن : « امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه . **قد شغفها حبا ، انا لنراها ، في ضلال مبين** » .

ونلاحظ هنا أن هذه الاشاعة هي عين ما حدث بالفعل ، فهي على هذا رواية واقعية لما حصل وليست اشاعة ، ولكن بالتأمل في الفعل المضارع « تراود » ودلالاته وايحاءاته وعلى طريقة القرآن في الايجاز وطي التفاصيل ، وجعل بعض الكلمات مستودعا للمعاني ينبيء عـن مكنونات الضمائر والنفوس ، أقول ، على هــذه الطريقة استعمل القرآن الفعل المضارع ، ليوحي بما في نفوس النسوة من ظن أنَّ امرأة العزيز تمارس هذه المراودة عن حب مقيم ، وضلال مبين ، وأن ما حصل ليس لحظة عابرة ، وانما فعل مستمر ــ عبرَّ عن هذه

الظنون والخواطر ، الفعل المضارع «تراود» ، وأكد ذلك جملة مؤكدات تضمنتها الجملة التذييلية : « انا لنراها في ضلال مبين » من هذه المؤكدات : ان ، واللام ، واسمية الجملة ، والظرفية الموحية بالشمول : « في ضلال » ، ووصف الضلال بالمبين ، واستعمال لفظ الضلال بمعنى الغرام ، فهو حب" وصل حد الضلال ، كل ذلك في كلمات قليلات : انا لنراها في ضلال مبين ٠

ونشير هنا الى أن القرآن الكريم يتنزه عن رواية تفاصيل ما خاضت فيه النسوة ، ولكنه صور لقطة خاطفة مما يشاع ويذاع ٠

وكذلك ملاحظة أخرى في وصول السر الى النسوة ، مع أنه لم يشهده الا أشخاص لا يعقل منهم خروج السر ، ولكن الذي يبدو أن النسوة أشعن هذه القالة دون أن يعلمن بتلك الحادثة ، بل من خلال ملاحظاتهن لامرأة العزيز أثناء زيارتها في البيت ، فقد كن يرقبن بعيون النساء المترفات ذاك الفتى وشغف سيدته به ، فلم يستبعدن أن يكون منها الذي أشعن ٠ والله أعلم ٠

وقطعاً لدابر الاشاعات حول امرأة العزيز ، لم يجد أصحاب السلطان وسيلة خيراً من ايقاع الأذى بالبريء

المظلوم ، لأنه في نظرهم الطرف الأضعف ، فقرروا أن يبعدوه عن العيون ، علّها تخمد الفتنة وتسكن ريحها ، وما دروا أنهم أثبتوها : « ثمَّ بَدا لهم من بعد ما رأوا الآيات لَيسْجننهُ حتى حين » ·

ولعل الحين الذي أشارت له الآية هو حين انتهاء موجة الاشاعات التي عمت المقربين من أصحاب النفوذ ، والطبقة العليا في المجتمع ·

ولله يوسف عليه السلام ، ما كان أشدَّ ذكاءه وأبعد نظره حين طلبه الملك اعجاباً به فلم يستجب ، بل طلب فتح ملف القضية ، وما ذلك الا لتتاح له فرصة العمل دون أن تعكر عليه الاشاعات صفوه أو تضعف سلطته ونفوذه ، وحتى تنقطع موجة الهمس والتشكيك والاشاعات قال للرسول :

« ارجعْ الى ربك فاسأله ما بالُ النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم » ·

فلما اعيدَ التحقيق في القضية وأشرف عليها الملك بنفسه ، وقال النسوة ما قلن : « حاش لله ما علمنا عليه من سوء » وقالت امرأة العزيز : « الآن حصحصَ

الحقُّ أنا راودته عن نفسه ‥ » وصدر الحكم ببراءته المطلقة من هذه الفعلة في محاكمة علنية مشهودة ، عندئذ خرج يوسف ، أو وافق على الخروج الى الأضواء والحياة العامة وتسلم الصلاحيات والسلطات التي خوله اياها الملك في كتاب الثقة : « أئتوني به أستخلصه لنفسي ، فلما كلَّمه قال انك اليومَ لدينا مكين أمين » « قالَ اجعلني عن خزائن الأرض ، اني حفيظ عليم ․ وكذلك مكّنا ليوسف في الأرضِ يتبوأُ منها حيث يشاء ، نُصيبُ برحمتنا من نشاء ولا نُضيعُ أجرَ المحسنين » ․

وان التمكين الذي أشارت اليه الآية ليس مجرد تسلم سلطات وصلاحيات ، ولكنه فوق هذا ثقة الشعب الكاملة التي أحاطه بها وتفاعل معه بها ، وأطاعه من قلبه واندفع ينفذ أوامره بكل طاقته وروحه وفعالياته ․ وهكذا تكون القيادة ، وهكذا يكون التمكين ․

إشاعات الجاهلية حول

خاتم النبيين ﷺ

أما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد ووجه منذ بداية الدعوة وطوال العهد المكي بحملات الاشاعة والتشكيك ، واستمر أعداء الدعوة الاسلامية في استخدام هذا السلاح في الفترة المدنية وتفننوا فيه · وكان الشعر من أهم الوسائل المستعملة في ترويج هذه المفتريات ·

وكان مما أطلقت الجاهلية حول المصطفى صلى الله عليه وسلم من أكاذيب : تهمة الجنون ، فقد كان أبو لهب ومن جندهم لهذه الغاية يجلسون على طرقات القبائل ويقولون بأنهم أعلم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأن ما يقوله من كلام انما هو ناشيء عن مس جنون — ففي سيرة ابن هشام :

« ثم ان قريشاً اشتد أمرهم ، للشقاء الذي أصابهم في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم ، فاغروا به سفهاءهم فكذبوه وآذوه ، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون »[1] ·

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ، ج ١ ص ٦٢ ·

ولقد رد القرآن الكريم في أكثر من سورة هذه الفرية السخيفة ، ففي سورة ن يقول سبحانه : « ن ، والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون » .

وقال في خاتمة نفس السورة : « وانْ يكادُ الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون .. » آية ٥١ .

قال في الظلال : « وان العجب ليأخذ كل دارس لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في قومه من قولتهم هذه عنه ، وهم الذين علموا منه رجاحة العقل حتى حكّموه بينهم في رفع الحجر الأسود قبل النبوة بأعوام كثيرة . ان الانسان ليأخذه العجب أن يبلغ الغيظ بالناس الى الحد الذي يدفع مشركي قريش الى أن يقولوا هذه القولة وغيرها عن هذا الانسان الرفيع الكريم ، المشهور بينهم برجاحة العقل وبالخلق القويم ، ولكن الحقد يُعمي ويصم ، والغرض يقذف بالفرية دون تحرج ، وقائلها يعرف قبل كل أحد أنه كذاب أثيم ... ثم ان الذكر لا يقوله مجنون ولا يحمله مجنون »[٢] .

---

٢) في ظلال القرآن ، ج ٨ ص ٢٢٠ . ص ٢٤٣ .

وفي سورة التكوير وُجِّه الخطاب الى القوم فقال سبحانه نافياً عن رسوله الجنون : « وما صاحبكم بمجنون » ٢٢ ٠

وفي سورة الطور : « فذكِّرْ فما أنتَ بنعمةِ ربك بكاهن ولا مجنون » ٢٩ ٠

وتعيب سورة الأعراف على المشركين أنهم لا يتفكرون في حال الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولو أمعنوا النظر قليلا لعلموا سخف مزاعمهم : « أوَ لمْ يتفكروا ٠ ما بصاحبهم مَنْ جنَّة ٠٠ » ١٨٤ ٠

وفي سورة المؤمنون تفسير لعلة اطلاق اشاعة الجنون عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنهم يكرهون الحق الذي جاء به وخالف هواهم ٠

« أمْ يقولون به جنة ، بل جاءهم بالحقّ وأكثرهم للحق كارهون » ٧٠ ٠

وذكرت سورة سبـا استغراب المشركين لحـال الرسول ، ورددوا أمره بين صورتين : « افترى على الله كذبا ، أم به جنة » سبأ ٨ ٠

ونفت سورة سبأ نفسها هذه التهمة فقالت : « ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم .. » ٤٦ .

وتـروي كتب السيرة أن قريشا في مفاوضاتهـا للرسول صلى الله عليه وسلم ومساومتها له عن دعوته ،. عرضت عليه من ضمن ما عرضت أنه انْ كان به مسٌ عالجوه والتمسوا له الدواء[٣] .

* * *

ومن المفتريات التي أشاعتها الجاهلية العنيدة الغبية على رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكذب ، وهم يعلمون في قرارة أنفسهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق الناس وأبرهم بدليل أن أبا سفيان عندما سأله هرقل ـ كما في الحديث الصحيح ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل جربتم عليه الكذب ؟ قال : لا ـ فقال هرقل : ما كان ليدع الكذب على الناس ثم يكذبُ على الله[٤] .

---

(٣) ارجع الى سير ابن كثير ، جـ ١ ص ٤٧٩ .

(٤) حديث هرقل متفق عليه عند البخاري ومسلم / ارجع الى فتح الباري شرح صحيح البخاري ، جـ ١ ص ٣٢ ، ط السلفية . وارجع الى الحديث في المغـازي للزهري تحقيق الدكتور سهيل زكـار ، ص ٥٩ ـ ص ٦١ .

هؤلاء أنفسهم هم الذين أشاعوا عنه الكذب أمام جماهيرهم لأنها لا تملك العقلية نفسها التي لدى هرقل حتى تمحص الحقائق والأخبار :

ومما يسجله القرآن في هذا الصدد : « أمْ يقولونَ افتراه ‥ » وهي في عدة سور ٠

ففي سورة يونس : « أم يقولون افتراه ، قُلْ فأتوا بسورة مثله » ٣٨ ٠

وفي سورة هود في موضعين : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سورة مثله مفتريات » ١٣ ٠

« أم يقولون افتراه قل ان افتريتهُ فعليَّ اجرامي » ٣٥ ٠

وفي سورة الأنبياء : « بلْ قالوا أضغاثُ أحلام بل افتراه بل هو شاعرٌ ‥ » ٠

ولاحظ تكرار « بل » ثلاث مرات ، وهي تشي بالبلبلة الفكرية والتردد والاضطراب الذي كان عليه المعسكر المعادي للرسول صلى الله عليه وسلم ، فهم لا يدرون ما يقولون ٠ وكما يقول في الظلال : « حاروا

كيف يصفون هذا القرآن ، وكيف يتقونه - فقالوا انه سحر . وقالوا انه أحلام مختلطة يراها محمد ويرويها ، وقالوا انه شعر ، وقالوا انه افتراه وزعم انه وحي من عند الله . ولم يثبتوا على صفة له ، ولا على رأي يرونه فيه ، لأنهم انما يتمحلون ويحاولون أن يسللوا أثره المزلزل في نفوسهم بشتى التعلات فلا يستطيعون ، فينتقلون من ادعاء الى ادعاء ، ومن تعليل الى تعليل ، حائرين غير مستقرين .. ثم يخلصون من الحرج بأن يطلبوا بدل القرآن خارقة من الخوارق التي جاء بها الأولون »[٥] .

وذكر هذا الاتهام بصيغة قريبة من تهمة الافتراء في قوله تعالى « أم يقولون تَقَوَّلَهُ » .

وقد نُفي هذا الاتهام بطريقة برهانية في قوله تعالى : « ولو تَقَوَّلَ علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين » .

فالله عز وجل ما كان ليدعَ انسانا ليفتري عليه ثم ينجو من عقابه وأخذه الشديد ، لا أن يظهر وينتصر ويحبه الناس ويفدوه بالأرواح .

---

(٥) في ظلال القرآن ، جـ ٥ ص ٥١٨ .

تروي كتب السيرة عن الامام أحمد والبيهقي عن ربيعة بن عباد الديلي وكان جاهليا فأسلم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول : قولوا لا اله الا الله تفلحوا ، والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين يقول : انه صابيء ، كاذب ، يتبعه حيث ذهب · فسألت عنه فقالوا : عمه أبو لهب(٦) .

وفرية أخرى لصيقة بهذه الفرية هي اشاعة قريش عن الحداد الرومي أنه هو الذي علم محمداً صلى الله عليه وسلم ما جاء به ، وليس الذي جاء به وحياً — في زعمهم — ، وفي هذا يقول تعالى : « ولَقَدْ نعلمُ أنهم يقولون انما يعلمهُ بشرٌ ، لسانُ الذي يلحدون اليه أعجميٌ وهذا لسانٌ عربيٌ مبين » النحل ١٠٣(٧) .

---

(٦) راجع سيرة ابن كثير طبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة سنة ١٩٦٤ ، جـ ١ ص ٤٦٢ ·

(٧) راجع في سبب نزول الآية كتب التفسير وأسباب النزول ، وراجع مثلا الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ، جـ ٤ ص ١٣١ ، وقد ذكر عدة روايات منها ما رواه الحاكم والبيهقي وغيرهما ، ومن الأسماء التي زعموا نسبة تعليم النبي اليها : سلمان الفارسي·

وكان من اشاعات قريش ضد النبي صلى الله عليه وسلم ما ردده أبو سفيان والملأ من قريش ثم عامة مكة ، وهو زعمهم بأنه ساحر ، مدعين أنه يفرق بين المرء وأهله وعشيرته ، وكذلك السحر . وقد ذكرت عدة سور من القرآن هذه الفرية التي رددتها قريش وعجبت من حال أصحابها :

ففي سورة ص قال سبحانه : « وعجبوا أنْ جاءهم منذرٌ منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب » . وفي سورة الذاريات بيّن القرآن أن الاتهام بالسحر لأنبياء الله ديدنُ الكافرين ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصراف عنهم وعدم الالتفات اليهم فقال : « كذلكَ ما أتى الذين من قبلهم مِنْ رسول الا قالوا ساحرٌ أو مجنونٌ ، أتَواصَوْا به ، بل هم قوم طاغون ، فتول عنهم فما أنتَ بملوم ، وذكّرْ فانَّ الذكرى تنفعُ المؤمنين » .

وفي فاتحة سورة يونس : « أكانَ للناس عجباً أنْ أوحينا الى رجل منهم أن أنذرِ الناسَ وبشر الذين آمنوا أنَّ لهم قدمَ صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين » .

وفي أوائل سورة هود : « ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » ٧ ٠

وفي سورة الاسراء : « واذا ذكرتَ ربك في القرآن وحده ولّوْا على أدبارهم نفُورا ٠ نحنُ أعلمُ بما يستمعون به اذْ يستمعون اليك واذْ هم نجوى ، اذْ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا » ٤٦ ـ ٤٧ ٠

وفي سورة المدثر سجل القرآن هذه المقولة السخيفة من قريش ثم أعقبهـا بتهديد شديد وجهـه لمفتريها ومطلقها فقال : « انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ثم عبس وبسر ، ثم أدبرَ واستكبر ، فقال انْ هذا الا سحرٌ يؤثر ، انْ هذا الا قولُ البشر ، سأصليه سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقي ولا تذر ٠٠ » المدثر ١٨ ـ ٢٨ ٠

وفي السيرة رواية هذا الحدث « أن الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش ، انه قد حضر هذا الموسم ، وان وفود العرب ستقدم عليكم

فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ، ولا تختلفوا فيه فيكذب بعضكم بعضاً ويرد قولكم بعضه بعضاً ٠

فقالوا : فأنت يا أبا عبد شمس فقل ، وأقم لنا رأياً نقول به ٠

قال : بل أنتم فقولوا أسمع – قالوا : نقول كاهن ٠

قال : لا والله ما هو بكاهن ، ولقد رأينا الكهان ، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه ٠

قالوا : فنقول مجنون ٠

قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته ٠

قالوا : فنقول شاعر ٠

قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ، ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ٠

قالوا : فنقول ساحر ٠

قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم ٠

قالوا : فما تقول انت يا آبا عبد شمس ؟

قال : والله ان لقوله لحلاوة ، وان أصله لعذق ، وان فرعه لجناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً الا عرف أنه باطل ٠ وان أقرب القول فيه أن تقولوا : ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه ، وذكروا لهم أمره[٨] ٠٠

ولو جئنا نحلل هذا الاجتماع القرشي لوجدنا فيه عدة أمور منها : أن الاشاعات حول الدعوة والداعية لم تكن عمليـة عشوائيـة ، ولكـن عمـل منظم مخطط مدروس ٠

والأمر الثاني : أنه حتى تهمة السحر لم تحظ بالقبول الكامل منهم بل وجدت طعناً قوياً ، ولكنهم مع هذا ارتضوها ، لانها يمكن اقناع الجمهور بها بشيء من المخادعة والتلبيس ٠

---

(٨) تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هرون ، جـ ١ ص ٦١ ، وسيرة ابن كثير ، جـ ١ ص ٤٩٩ ٠

والأمر الثالث : أن القيادة الجاهلية لقريش كانت تعلم الحقيقة كاملة ، وتعلم يقيناً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كما يشيعون عنه ويفترون ، ولكنه المبرأ من كل نقص وعيب ، وانما هم قوم له خصمون .

وفي سورة سبأ آية أجملت كل ما كانوا يتقولونه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ضمنه تهمة السحر : « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا : ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم ، وقالوا : ما هذا الا افك مفترى ، وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم : ان هذا الا سحر مبين » ٤٣ .

ولما فتر الوحي في مكة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما معدودة ، سارعت قريش بنشر اشاعة أن رب محمد قلى محمداً ، حتى شق عليه صلى الله عليه وسلم ، وكاد يظن أن الأمر كذلك ، ثم طمأنه الله في سورة الضحى أنه ما ودعه ربه وما قلى(٩) .

---

(٩) ارجع الى تفسير الطبري ، ج ٣ ص ٢٣١ ، ففيه عدة روايات حول هذا المعنى منها : أبطأ جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال المشركون : ودع محمداً ربه ، فانزل الله : والضحى ..

حملات الاشاعة في الفترة المدنية

ذاك كان بعض ما أشاعته قريش عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة ، فاذا انتقلنا الى دراسة الفترة المدنية نجد أن حملة الاشاعات استمرت ، بل ازدادت وتضاعفت ، ودقت في خفائها وتنظيمها ، وصار يديرها ويسهر عليها أساطين الشر ودهاقنة المكر في العالم ... اليهود[1] وجندوا لترويجها ألسنة السوء من معسكر النفاق المنبثين في وسط الصف الاسلامي .

ولولا تماسك البنية الاجتماعية الاسلامية — بعد فضل الله — لكان لمكر هؤلاء شأن آخر ، ولكن التهذيب

---

(١) يمكن الرجوع الى كتاب اليهود في القرآن لعفيف طبارة ، ص ٣٠ — ص ٣١ فقد قال تحت عنوان : بث الشكوك في الاسلام : عمد اليهود الى اضعاف الايمان في نفوس المؤمنين وزعزعة ثقتهم بالاسلام. ثم ذكر من أساليبهم في ذلك اشاعة الزعم بان ما في الاسلام انما هو تحريف لبعض ما جاء في التوراة وان في القرآن تناقضاً وغير ذلك .. ثم ذكر من أساليبهم ما أشارت اليه الآية : « آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » فانه أجدر أن يصدقوكم ويعلموا أنكم قد رأيتم منه ما تكرهون ، وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم .

الاسلامي الرفيع للمجتمع وتأكيد الاسلام على وحدة كلمة المؤمنين ، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فوّت على أعداء الله أغراضهم ·

ولقد كان أولئك الأعداء في موقف المتربص المنتظر ، يتصيدون المناسبات ، ويتحينون الأحايين الملائمة لبث حقدهم الاسود الدفين على الاسلام ورسول الاسلام عليه الصلاة والسلام · وكلما وقعوا على خبر سيء أذاعوه ونشروه وأشاعوه ، ولقد قال عنهم القرآن : « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة ·· » واذا لم يقعوا على بغيتهم لفقوا خبراً ، أو قلبوا الحقيقة ، أو فسروها على هواهم ، وكما يحلو لهم وتملي شياطينهم ·

وعند تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش ، وجد هؤلاء فرصتهم التي لا تضيع أن يزيفوا الحقيقة على الجماهير ، ويفصلوها عن قيادتها ويستعيدوا مكانتهم لديها · فصاروا يشيعون أن محمداً صلى الله عليه وسلم تزوج من امرأة ابنه ، أي أنه أتى منكراً هو ينهى عنه ، والأعراف تنهي عنه ولا تقره ·

ولقد أحزنت رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه القالة الخبيثة ، ووجد منها حرجاً في صدره حتى نهاه الله عن ذلك ، وأمره أن يمتثل لأمر الله بتزوجها ، وأن زواجه منها ليس بأمره هو ، ولكنه أمر الله الذي يتعين ألا يخشى فيه أحداً ولا لوم اللائمين :

« واذ تقول للذي أنعمَ الله عليه وأنعمت عليه أمسكْ عليك زوجك واتق الله ، وتخفي في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً ، وكان أمر الله مفعولا • ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدورا • الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً الا الله ، وكفى بالله حسيباً » الأحزاب ٣٧ ـ ٣٩ •

ولم يكتفوا بهذا في قصة زينب بل أشاعوا أيضا أنها وقعت في نفسه صلى الله عليه وسلم ، وهي زوجة زيد ، وكذبوا ، اذ هو الذي زوجها من زيد ، فلو كان يريد الزواج منها فما يمنعه ؟ على أن نفسيات الكافرين

الهابطة لا ترقى الى تصور نفسية رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اهتماماته ويقيسون الأمور على أنفسهم هم ، وأين الثريا من الثرى ؟!

ولا يغيب عن الذهن مطلقاً الاشاعة الضخمة حول حديث الافك ، الذي كان بدون مبالغة حدث الأحداث في الاسلام ، وأخطر تحد واجه المجتمع الاسلامي . وقد أسقط المجرمون من أعداء الله من نفسياتهم الهابطة في هذا الخبر الكاذب ، ومن تصورهم المريض على المؤمنين الأبرار الأطهار ما يستحيل أن يقع مطلقاً ، وغاب عنهم أن من عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يُعصم في عرضه وشرفه وأهله لأن هذا من مكملات التبليغ والأهلية للرسالة ، اذ ان أي طعن أو قدح في هذا الجانب مخل بشخصية الداعية ، ومعرض له للجرح الاجتماعي والنبذ . وحاش لله أن يدور من حول البيت النبوي مثل هـذه الريب ، ولكنها نفوس المنافقين المريضة ، المملوءة غيظاً وحنقاً على الدين ، وجدت في أسلوب الاشاعة الرخيص وسيلة لتوهين قوة الصف الاسلامي وزعزعته .

الاشاعة في الميدان العسكري
من حياة الرسول ﷺ

أما الاشاعة في الميدان العسكري فتستحق أن نلقي عليها نظرة مستقلة ، فبعد بدر قويت شوكة المسلمين ، وعز شأنهم ، وهابتهم العرب ، وما كان اليهود ليذروا المؤمنين يحصدون ثمرة النصر كاملة ويستثمرون غلبتهم على قريش في تحصين مواقعهم النفسية ، والقاء الرعب في نفوس أعدائهم . ومن هنا سارع اليهود الى التهوين من شأن هذا الانتصار ، والتقليل من قيمته العسكرية .

يقول اللواء جمال الدين محفوظ : « كان للنصر الذي أحرزه المسلمون في بدر آثاره السيئة على نفوس اليهود والمشركين ، فما ان سمعوا أنباءه قبل ان يعود المسلمون الى المدينة ، حتى حاولوا اخفاءه وعملوا على التشكيك في امكان وقوعه ، وحاولوا اقناع أنفسهم بعدم صحة ما سمعوا ، وزادوا على ذلك بأن أشاعوا أخبارا كاذبة ليوهنوا من عزيمة المسلمين ، وليقضوا على ما سمعوا ، فقالوا ان محمدا قد قتل وان أصحابه

قد هزموا وأخذوا يؤيدون قولهم بوجود ناقة الرسول صلى الله عليه وسلم مع زيد بن حارثة (وكان الرسول قد بعثه بأخبار النصر الى المدينة) . فلما تحقق خبر الانتصار سقط في يد الاعداء ، وزادت حسرتهم لما أصبحوا عليه من الهوان والمذلة حتى قال بعضهم : « بطن الأرض خير من ظهرها »[1] .

وحتى بعد أن تحققوا من النصر لم تطق نفوسهم أن يتركوا للمسلمين هذا النصر يمر دون أن ينغصوه عليهم ، فأشاعوا من جديد قالة أخرى تهون من شأن العسكرية الاسلامية فقالوا : « لا يغرنك يا محمد أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة . انا والله لئنْ حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس »[2] .

* * *

وأما في غزوة أحد فعندما رجع عبدالله بن ابي بن سلول بثلث الجيش ، غلّف هذا الرجوع المتخاذل

---

(١) المدخل الى العقيدة والاستراتجية العسكرية الاسلامية ص ١٣٠ .

(٢) ارجع الى كتاب الرسول القائد صلى الله عليه وسلم لمحمود شيت خطاب ، ط ٢ ص ٩٣ .

المفضوح باشاعة أن محمداً صلى الله عليه وسلم يطيع رأي الأغرار ، ويدع رأي المحنكين المجربين من أمثاله ومن هو على شاكلته · ولعب ذلك التراجع مع ما رافقه من وسوسة دوره لولا عظمة القيادة وأخلاقية الصف المسلم العالية ـ بعد فضل الله عز وجل ·

وفي أثناء المعركة أشاعت قريش خبر مقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كانوا قتلوا مصعب بن عمير رضي الله عنه وظنوه الرسول صلى الله عليه وسلم · وتركت هذه الاشاعة آثارها في نفوس الصحابة رضي الله عنهم ، حتى لقد سجل القرآن في آياته الكريمة من سورة آل عمران تعليقاً على موقف الصحابة ، وتصحيحاً للتصور في قوله للمؤمنين موجهاً مربياً معلماً : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قُتِلَ انقلبتمْ على أعقابكم ·· » ·

قال في الظلال معلقاً على هذه الآية بقوله انها « تشير الى واقعة معينة حدثت في غزوة أحد ، ذلك حين انكشف ظهر المسلمين بعد أن ترك الرماة أماكنهم من الجبل ، فراكبه المشركون ، وأوقعوا بالمسلمين ، وكسرت رباعية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشج

وجهه ، ونزفت جراحه ، وحين اختلطت الأمور ، وتفرق المسلمون ، لا يدري أحدهم مكان الآخر ·· حينئذ نادى مناد : ان محمداً قد قتل ·· وكان لهذه الصيحة وقعها الشديد على المسلمين · فانقلب الكثيرون منهم عائدين الى المدينة ، مصعدين في الجبل منهزمين ، تاركين المعركة يائسين ، لولا أن ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك القلة من الرجال ، وجعل ينادي المسلمين وهم منقلبون ، حتى فاءوا اليه ، وثبت الله قلوبهم وأنزل عليهم النعاس أمنة منه وطمأنينة ·· »[٣].

* * *

وفي غزوة الأحزاب حيث اشتد الموقف على المسلمين لعدم تكافؤ القوات بين العسكرين ، في هذه الغزوة كانت الريح مواتية للمنافقين أن ينفثوا نارهم ، ويطلقوا أراجيفهم ، توهيناً من عزيمة المسلمين لعل ضعف روحهم المعنوية يتسبب في هزيمة يستفيد منها معسكرهم ·· وتعود لهم الوجاهة كما كانت · وتأمل ! كم هو قتّال حب الرياسة لدى هؤلاء ·· الى حد أن

(٣) في ظلال القرآن ، جـ ٢ ص ٩٢ ط ٥ سنة ٦٧ ·

يضحـوا بشعبهم وقومهـم وحضارة الانسانية كلهـا ومستقبلها في سبيل أن يتربعوا أياماً على مقاعد الوجاهة والظهور والجاه الأجوف الفارغ ٠

ومـن هنا بدأوا حمـلات اضعاف المعنويات التي سجل منها القرآن :

« واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً ٠ واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ٠٠ » ٠

ويصمد الصف المسلم ذو البنية الاجتماعية المعافاة من آفات التقطع والتخلخل ، وينتصر في أخطر تحد عسكري واجهه ، وتعود خفافيش المنافقين الى جحورها تنتظر الفرص ٠

على أن الاشاعـة وظفت في هـذه الغزوة توظيفاً ايجابياً من جانب المسلمين ، تمثل ذلك في مقالة نعيم ابن مسعود التي ترويها كتب السيرة على النحو التالي :

« أتى نعيم بن مسعود رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال يا رسول الله ، اني قد أسلمت وان قومي

لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة • فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنـــي قريظة وكان لهم نديمـــاً في الجاهلية ، فقال : يا بني قريظة ، قد عرفتم ودي اياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم • فقال لهم : ان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون على أن تحولوا منه الى غيره ، وان قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فان رأوا نهزة أصابوها ، وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به ان خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم ، يكونوا بأيديكم ، ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه ، فقالوا له : لقد أشرت بالرأي •

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودي لكم وفراقي

محمداً ، وأنه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقاً أن أ'بلغكموه ، نصحاً لكم ، فاكتموا عني ، فقالوا : نفعل • قال : تعلموا ، أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا اليه : انا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن ناخذ لك من القبيلتين مـن قريش وغطفان رجـالا مـن أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل اليهم أن نعم ؛ فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحداً •

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان ، انكم أصلي وعشيرتي ، وأحب الناس الي ، ولا أراكم تتهمونني • قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم • قال : فاكتموا عني • قالوا : نفعل • ثم قال لهم مثل ما قال لقريش ، وحذرهم ما حذرهم •

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان

فقالوا لهم : انـا لسنا بدار مقام ، قـد هلك الخف والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ، ونفرغ مما بيننا وبينه ، فأرسلوا اليهم ان اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا ، حتى نناجز محمداً ، فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا الى بلادكم ، وتتركونا والرجل في بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه • فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا الى بني قريظة : انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحداً من رجالنا ، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا • فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل اليهم بهذا : ان الذي ذكر لكم نعيم لحق ! ما يريد القوم الا أن يقاتلوا ، فان رأوا فرصة انتهزوها ، وان كان غير ذلك انشمروا (انسحبوا) الى بلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم ؛ فأرسلوا الى قريش وغطفان : انا والله لا نقاتل

معكم محمداً حتى تعطونا رهناً • فأبوا عليهم وخذل الله بينهم •

وبعث الله عليهم الريح في ليال شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم ، وتطرح أبنيتهم •• »(٤) •

وقد سجلت آيات سورة الأحزاب طرفاً من صنيع الله بأعدائه فقالت :

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً • اذْ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا • هنالك ابتلي المؤمنون وزُلْزِلُوا زلزالاً شديداً •• » الأحزاب ٩ ـ ١١ •

« وردَّ الله الذين كفروا بغيظهم لمْ ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً وأنزل

(٤) تهذيب سيرة ابن هشام ، ج ١ ص ٢٠٢ ـ ص ٢٠٤/وفي مغازي ابن شهاب الزهري ص ٨٠ رواية اخرى مختلفة تماماً عن دور نعيم بن مسعود لا تجعل له مثل هذه الأهمية • فليراجعه من يشاء•

الذين ظاهروهم مـن أهل الكتاب مـن صياصيهم ، وقذف في قلوبهم الرعب ، فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم ، وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديراً » . الأحزاب ٢٥ ـ ٢٧ .

شروط الاشاعة

لا بد للاشاعة من شرطين أساسين حتى تروج وتسري ، والشرط الأول يتعلق بموضوع الاشاعة ، وكونه ينطوي على شيء من الأهمية بالنسبة للمتحدث وللمستمع ·

أما الشرط الثاني ، فهو كون الوقائع الحقيقية على جانب من الغموض ، وهذا الغموض ينشأ اما عن انعدام الأخبار ، أو اقتضابها ، أو تضاربها ، أو عدم الثقة بها ، أو ينشأ عن بعض التوترات الانفعالية التى تجعل الفرد غير قادر أو غير متهييء لتقبل الوقائع التي تقدمها الأخبار اليه ·

و « ان الشرطين الأساسين للاشاعة ، ونعني الغموض والأهمية يرتبطان ارتباطاً كمياً بسريان الاشاعة · وقدر الاشاعة السارية يتغير تبعاً لمدى أهمية الموضوع عند الاشخاص المعنيين ، وتبعاً لمقدار الغموض المتعلق بالمسألة المعنية · والعلاقة ما بين الأهمية والغموض ليست علاقة «اضافية» ، وانما «تضاعفية» ، بمعنى أنه اذا كانت الأهمية صفراً ، أو اذا كان الغموض صفراً ، فلن تكون هناك اشاعة · وعلى سبيل

المثال فان مواطناً أمريكياً لا يحتمل أن يطلق اشاعات عن سعر الجمال في سوق أفغانستان ، وذلك لأن الأمر لا يهمه على الاطلاق ، وان كان السعر ولا شك يتسم بعدم التحدد والغموض • فالغموض وحده لا يطلق الاشاعة ولا يسندها •

وكذلك الحال بالنسبة للأهمية وحدها ، فعلى الرغم من أن حادثاً ذا أهمية يقع لي ، فاني لست مع ذلك معرضاً لاطلاق اشاعات تتعلق بمدى اصابتي لأنني أعلم الوقائع •

ولقد كان الضباط في المراكز العليا أقل انفتاحاً للاشاعات مما كان عليه المحاربون القدماء ، لا لأن الأحداث الواقعة كانت أقل أهمية بالنسبة اليهم ، ولكن لأنهم كانوا بصورة عامة على دراية أعظم بالخطط والاستراتيجيات • فحيث لا يوجد غموض لا يمكن أن تكون اشاعة •

وفي فترة الحرب ، تكون شروط قيام الاشاعة أحسن ما يمكن ، فالأحداث العسكرية بالغة الأهمية • ومع ذلك فالسرية الحربية بالاضافة الى البلبلة الطبيعية

التي يعانيها الشعب فيما يتعلق بتقدم العدو وتحركاته التي لا يمكن التنبؤ بها ، نقول ان هذه السرية وهذه البلبلة تعملان على خلق غموض سحيق ٠

والقانون الذي اشير اليه يمكن التعويل عليه الى حد بعيد ، وهنالك مع ذلك ظروف بعينها تقل فيها فاعلية هذا القانون ، فاذا كان الناس يعانون رقابة شديدة ، وكانت هنالك عقوبات صارمة على ترديد الاشاعات ، فمن المحتمل ان يضبط الناس أنفسهم ان قليلا أو كثيراً ٠

وكذلك حيث يكون المجتمع غير متجانس بدرجة مسرفة ، وحيث تقل الاتصالات بين جماعاته فانه يكون من المحتمل أن تتجنب الاشاعة اجتياز الحواجز الاجتماعية ، ومن ثم يضيق سريانها ٠

ويمكن أن تتعطل فاعلية القانون لسبب آخر هو توعية الاشخاص بطبيعة الاشاعة وسلوك المشيع ، والتفسير النفسي للاشاعة ، وعليه فان الشخص متفهم الاشاعة يصعب تصديقه للاشاعة ونشره لها ، وهو أقل استعداداً من العادي الذي لا علم له بالاشاعة[1] ٠

---

(١) سيكولوجية الاشاعة بتصرف يسير واختصار ٠

كيف تنشأ الاشاعة

ليست كل الاشاعات من صنع الخيال ، بل قد تحتوي أحياناً على خميرة من الحقيقة أو نواة من الواقع يصاغ حولها نسيج الاشاعة ، ولكنها كثيراً ما كانت وتكون مختلقة ، فان كانت كذلك فان منشأها أن صانعها يستغل أهمية الحدث أو الشخص محور الاشاعة ويستغل جهل الناس ، أو عدم امتلاك المعلومات الكافية ليفتري من بنات أفكاره اشاعة يضرب بها خصمه ، وأحياناً يلجأ الى تفسير مشوه أو مغرض وقع لهذا الشخص محور الاشاعة ، أو قلب للوقائع ، أو طمس لبعض الحقائق .

وأحياناً تبدأ الاشاعة خبراً صحيحاً تماماً ، فاذا تناقله الناس زادوا عليه من خيالهم حتى يغدو مشوقاً مثيراً ، فما ان يمشي خطوات حتى يغدو ككرة الثلج لا تزال تتزايد كلما دحرجتها .

أساب ظهور الاشاعة

« حيـاة البشر في عالمنا هـذا لا تكاد تخلو مـن الحاجـات والمشكلات التي تثير اهتماماتهـم ، والتي يستغلق عليهم مع ذلك سبيل المعرفة الحقة اليها ، فقد كان لا بد من أن تكون الاشاعة بعداً من أبعاد الحياة البشرية .

وان أرض الجماهير لا تكاد تتلبد فوقها سحب «الغموض» ، وتنتشر فيها بذور «الاهتمامات» ، حتى تستحيل تربة خصبة تزدهر فيها نبتات الشائعات .

ولن تلبث هذه الشائعات حتى تصّاعد في سرعة الى عنان السماء ، فتحجب عن الرائي أو تكاد ، آفاق الرؤية الواضحة ، وتسد أمام ناظريه السبيل ، فلا يرى جبال الحقائق الموضوعية الراسخة ، هذه التي انما تتحدد قممها في سماء صافية من المنطق »[١] .

فيمكن ببساطـة عزو ظهور الشائعة الى انعـدام المعلومات ، ومن هنا ينادي من يودون القضاء على

(١) صلاح مخيمر وزميله ، من مقدمة الترجمة لكتاب سيكولوجية الاشاعة ص ٧ .

الاشاعة بضرورة اظهار الحقيقة كل الحقيقة بتفاصيلها ، وعدم اخفاء شيء عن الجماهير حتى لا يكون هناك سبب وحافز لظهور الاشاعة ٠

ولكن هذا القول تبسيط مفرط للحقيقة ، فهناك من الأسباب الأخرى ما يتضافر مع هذا السبب ، مثل الدوافع النفسية في الانسان ، وانعدام المستوى التهذيبي الرفيع من الأمة ، وتقطع الأسباب بين الناس ، وانعدام الثقة بين فئات الشعب ، أو بين القاعدة والقمة ، أو التعرض لهزات وأزمات وضغط خارجي مع الافتقار الى الايدي الخبيرة الحكيمة التي تخرج الأمة من ورطتها ، وتقوم بالاجابة عن كل طارىء وحل كل مشكل قبل استفحاله ٠

في حالة انعدام كل هذه المؤهلات والمقومات على مستوى الفرد والأمة تبرز التناقضات على السطح ، وتطفح النقائص على وجه المجتمع بثوراً شوهاء تؤذي الناظرين ٠

دوافع الاشاعة

ينشأ الطفل في بيئة تعودت أن تردد أخباراً تقدم لها بهذه اللازمة : سمعت أن .. ، يروون في الحي أن .. ، أظن أن .. الخ .

هــذه اللازمة هــي التي تشكل الأرضية الأولى للاشاعة ، وتربي الطفل التربية التي تؤهله في المستقبل أن يكون ناقلا لجرثومة الاشاعة .

من هنا في الحقيقة ولدت الاشاعة ، وتهيأ مناخها ووجدت تربتهــا الصالحة لنموها والمنطلــق الثاني ، والدافع الثاني للشائعة من داخل النفس الانسانية وهو الحرص على تفسير ما يقع من أحداث تفسيراً مقبولا مقنعا حتى ولو لم يكن يملك الشخص عناصر هذا التفسير ، والمعلومات الكافية التي تكوّن اطاراً كاملا وصورة واضحة للأحداث فان لم يجد الرواية الكاملة عن الحدث لجأ الى خياله يستكمل الصورة وملامح الوقائع ليقدم لنفسه ثم للناس رواية كاملة .

والأمر الثالث ان الذاكرة الانسانية لا تحتفظ بصور الأشياء كاملة وتفاصيل الأمور والأحداث الى

آماد طويلة ، بـل تتعرض تلك المخزونات للاختزال والانتقاص من أطرافها ، وتجري عليها عملية تسوية وطمس أو تشويه وابراز على نقاط معينة أخرى ، وهذا النقص من جهة والتركيز أو الابراز في جهة ثانية منطلق آخر من منطلقات الاشاعة حين يروى الخبر بعد أن جرت له كل تلك العمليات الداخلية من اقتطاع أو تركيز ·

ودافع رابع عجلة الانسان وتلهفه على الأمور ، وعدم توافر الوقت الكافي لديه لتقصي الحقائق ، ولما كان الفضول أقوى من الامكانات وأسرع من الزمن المتاح كان الدفع والالجاء الى أرض الاشاعة بهذا العنصر · فكثير من الاشخاص أو الشعوب معزولون عن الآخرين ، ولا يملك كل فريق معلومات عن الآخرين فيلجأ الى الشائعة بالدافع هذا ·

أضف الى هذه الدوافع دافع الحقد على المنافسين أو الخصوم أو أي أشكال الكره والأنانية مما يحفز الى تحطيمهم ولـو باختلاق الشائعات ضدهم أو تفسير سلوكهم تفسيرا يخدم أغراض الطرف المطلق للاشاعة · ومن زاوية ثانية يحاول الانسان بالاشاعة اقناع الناس

بعدالة موقفه من خصومه وأنه في عدائه لهم منطقي ، فهم الذين يصنعون كذا ، ويقولون كيت ، ويرتبطون بالجهة الفلانية ٠

وبالاشاعة ينتصر الانسان على أناس لا يستطيع لو واجههم أن يصمد أمامهم أو يحقق شيئاً ٠

ودافع آخر منطلقه الغموض الذي يكتنف الخبر موضوع الاشاعة أو الشخصية ، هذا الغموض الذي يتسبب في التوتر العاطفي الذي ينتهي اما الى نوع من الهزيمة النفسية والكبت لعدم المقدرة على حله وتسهيله أو ينتهي الى اشاعة يطلقها الانسان فينفس بها عن تلك التوترات ٠

وكذلك يشكل الاسقاط دافعاً آخر من دوافع الاشاعة وهو ما يطلق عليه كتّاب علم النفس : « البحث عن كبش فداء » ، فهناك من الممنوعات ما لا يجرؤ البعض على مواقعته أو ارتكابه لا عن مبدأ ولا نظافة ذاتية ولكن عن مجاراة أو خوف ولكنه يتمنى ذلك السلوك فيلجأ الى أن يراه في غيره ولو في صورة مختلفة ينشئها ثم يصدقها فيستريح اليها ٠

كذلك ، فان القاء التهم الشديدة على الغير يهون في عيوننا وعيون المجتمع ما نحن عليه من تقصير وعوج ٠

وأحيانا تكون الشائعة نوعاً من استرضاء النفس ، وعـدم القدرة على مواجهتها بالفشل ، فشخص لـم يستطـع أن يقتحم ميادين التجارة ويحقق نجاحـاً مرموقاً ، يعمد الى خلق مفتريات حول من هم في هذا الميدان كأن يقول : ان أعمالهم كلها تقوم على الغش والمداهنات والرشاوى والايمان الكاذبة وأنه خير لي ما أنا فيه من حال من أن أغتني على حساب شخصيتي وكرامتي ومبادئي ٠ وكما قيل : « قال حصرماً لما رأى ألا يناله » ، ومن هذا الصنف الطلبة الفاشلون في امتحاناتهم يلجأ الكثير منهم الى رشق المدرسين والطلبة الآخرين بالتآمر والخيانة والمحاباة وأنهم أزيحوا من الطريق ليخلو الجو لطالب عميل للاستاذ أو قريب ٠٠ الخ ، وكثيراً ما يقول هؤلاء الطلبة بأنهم لو كانوا يدرسون لكانوا من الأوائل ، وكلها محاولات للرضا عن الذات ، وأن تبقى العلاقة بين الانسان ونفسه علاقة احترام ٠

وعلى أي حال فان الدوافع وراء الاشاعات عديدة يصعب حصرها ، لأن مجراهـا في النفس الانسانيـة متشابك معقد ، فأحيانا حب الظهور يشكل الدافع ، وأحيانا الحقد ، أو الكبت ، أو حب الاستطلاع ، أو الاسقاط ، أو الدفاع عن النفس أو عمَّنْ يحب ، وأحيانا الاعجاب .

وباختصار يمكن أن نقول ان طبيعة التشابك في دوافع الشائعة يمكن أن تكون مستمدة من طبيعة التشابك في النفس الانسانية ودوافعها السلوكية .

التفسير النفسي للاشاعة

تحدث المبحث السابق عن الدوافع التي تكمن وراء الاشاعة ، وهذا المبحث متمم له ، يحاول أن يصل الى أصل كل دافع والى أعماق ما يدور في النفس الانسانية ويمور عندما تطلق الاشاعة ، وتحديد الحالة بمصطلح من مصطلحات علم النفس ·

و « ان أية حاجة بشرية يمكن أن تكون القوة الدافعة للاشاعة · فالقلق هو القوة الدافعة الى أقاصيص الكوارث · والآمـال والرغبات تكمـن وراء الاشاعات الحالمة · والحقد يسند أقاصيص الاتهام والافتراء · والاهتمام بما هو جنسي يفسر الكثير من التقولات ومعظم الفضائح ·

والاشاعـات تهدىء التوترات الانفعالية القائمـة باتاحتها افراغاً لفظياً يحقق التفريج · ان الاشاعات غالباً ما تبرر ، وتذود عن وجود هذه الانفعالات التي لو واجهها أصحابها بصورة مباشرة فمن المحتمل ألا يقتدروا على تقبلها · والاشاعات في بعض الأحيان تتيح تفسيراً جد فسيح لكثير من الملامح المستغلقة للبيئة ،

ومن ثم تلعب دوراً بارزاً في اشباع الحاجة العقلية الى جعل العالم المحيط بنا يبدو معقولا(١) ٠

وجدير بالاهتمام أن نلاحظ الغموض الذي تعمل الاشاعة في خدمته ٠ فهي اذ تتيح للشخص أن يصفع ما يكرهه ، فانها «تفرج» عن «دافع انفعالي» أساسي ٠ ولكنها في الوقت نفسه وبنفس الرمية تبرر ما يشعر به الشخص بازاء الموقف ، وتفسر له أمام نفسه وأمام الغير علة ما يدفعه الى هذا الشعور ٠ وهكذا فالاشاعة تسبغ المعقولية وهي تضطلع بالتفريج ٠

فهناك ضغط فكري الى جانب الضغط الانفعالي ، فالعثور على سبب معقول لموقف غامض هو في حد ذاته دافع — وهذا السعي الى «اغلاق جيد» يفسر حيوية الكثير من الاشاعات ، اننا نريد أن نعرف « لم » و «كيف» و «الى أين» بالنسبة للعالم المحيط بنا ٠

---

(١) لعل من هذا الوادي والقبيل تفسيرات العامة لكثير من الظواهر الطبيعية والكونية من زلازل أو رعد أو كسوف ، وقولهم ان الأرض مستندة على كيت أو كيت كل ذلك يحاولون به جعل العالم المحيط بهم معقولا ٠

ان عقولنا تحتج على «العماء» ــ ومنذ الطفولة ونحن نتساءل : «لم» ؟ وهذا «السعي وراء معنى» هو عملية أوسع من ميلنا الى تعقيل وتبرير حالتنا الانفعالية الراهنة • من هنا تنشأ « الاشاعات الفضولية » •

وناشر الاشاعة قد لا يفهم كل هذه الدينامية ذات الجوانب المتعددة ــ انه لا يعرف السبب في أن اشاعة بعينها تبدو له شديدة الجاذبية ، وجديرة بالترديد والنشر في سرعة وعلى نطاق واسع • انه لا يتنبه الى أي مدى يعكس نفسه في الأقاصيص التي ينشرها ــ وهو ما يسمى في مصطلح علم النفس بالاسقاط •

ان الاشاعة أشبه ما تكون بحلم يقظة لاكَتْه الأفواه • فاذا كانت الأقصوصة التي نسمعها تتيح لنا تأويلا للواقع بما يتفق مع حياتنا الحميمة فاننا نميل الى تصديقها والى نقلها •

ان الانسان عن طريق اطلاق الاشاعة أو تداولها يحاول الافلات من مشاعر الاثم • ويتجنب وخزات الضمير المؤلمة • فما نسميه خطيئة عند الآخرين هو مجرد ما نسميه «تجربة» عندنا ، فالآخرون هم الذين

يرتكبون الخطايا لا نحن ـ وحتى لو ارتكبناها فما أهونها اذا قورنت بنذالة الآخرين ٠

هكذا يبـرر الانسان لنفسه سلوكه بطريقـة لا شعورية عن طريق اطلاق الاشاعة أو تصديقها ٠

على أنه ليس دقيقاً تماماً أن نفترض أن كل فرد ناشر للاشاعة انما يدفعه الدافع الاسقاطي ، اذ يمكن أن يكون الدافع مجرد الرغبة في اجتذاب الانتباه : اني أعرف شيئاً أنت لا تعرفه ٠

فالشخص وهو آخذ في سرد قصته يكون طول ذلك الوقت مهيمناً على مستمعيه ٠ ومثل هذه المتعة يمكن أن تكون شديدة الغواية بالنسبة الى الاشخاص الذين حياتهم خلوة من الأحداث ٠ هذا الى أن مردد الاشاعة يمكن أن يتيح لنفسه مشاعر المغدق على صديق شغوف بتذوق الفضائـح ، أو بالأحاديث المقابرية المفعمـة بالمصائب ـ وهو وان لم يحفل هو نفسه بالاشاعة فانه يلقي بها في تلذذ الى صديقه ٠

بالاضافة الى أن كثيراً من الاشخاص حتى من الذين لا يتجاوبون مع الاشاعة انما يستعملونها « وصلات »

لملء الفراغ بين الأحاديث والمجالس كلما انقطع حبل الحديث ، ومثل هذه « الدردشات » الاجتماعية غير الهادفة تعين على دفع الاشاعة[٢] .

وهناك عامل آخر قوي من عوامل اطلاق الاشاعة هو «التوقع» . والاشاعات تبلغ أقصى احتدامها عندما يكون الجمهور متوقعاً حدوث حادث خطير . فبعدما يطول الانتظار يكون الانسان في حالة تحفز للاكمال .

---

(٢) ومجالس الفارغين ما أملأها بمثل هذه الأحاديث حتى ان الاشاعة تتحول من مجرد وصلة الى المادة الاساسية خاصة في مجالس النساء أو مواقفهن على السلالم أو أبواب البيوت في وداع بعضهن أو تحية بعضهن .

وقد اعتبر القرآن الكريم من مؤهلات الفلاح البعد عن مضغ هذه الأحاديث ، وذلك في أكثر من توجيه من توجيهاته ، من ذلك : « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون » . وهي مجالس لغو ان لم تمس أحداً ، فان تحولت الى غير ذلك كان النهي من القرآن شديداً والعقاب من الله تعالى رادعاً زاجراً : « بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » . « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله .. » و « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » ...

ان الناس يخضعون حينئذٍ لما يسمى جذب الهدف .
فاذا أعلن عن تغيير وزاري مثلا ، وانتظره الناس بعض الوقت ليسمعوا تفاصيل الأسماء والتشكيل والبرنامج الوزاري ، فكلما مر وقت تضاعف التطلع الى معرفة الآتي أو توقعه ، والانسان لا يطيق الانتظار ولا الوقوع تحت تأثيره ، فتخفيفاً عن نفسه مما يعاني واستباقاً مع الناس ومع الأحداث فانه يعلن من تلقاء نفسه التشكيل الجديد والتغيرات المتوقعة في خطة السير(٣) .

---

(٣) بتصرف واختصار من سيكولوجية الاشاعة لاولبورت ص ٥٥ ــ ص ٧٠ .

الاشاعة والتذكر

ليست كل حالات الاشاعة يكمن وراءها قصد التزوير والاختلاق ، كما أسلفنا ، ولكن العقل الانساني وحافظته كثيراً ما يتعرض للنسيان ونقص المعلومات ، وكثيراً ما يميل الانسان الى « التسوية » في رواية الأخبار ، بمعنى أنه ينتقص الأجزاء التي داخلها الوهن وليس على ثقة منها ، لأن ذاكرته لم تعد تحتفظ بالمعلومات بشكلها الأول ، وهذا النقص ، وأحيانا الخلط مادة للاشاعة ومقدمة لها ، بل هو هي .

ولو تتبعنا خط سير الاشاعة لوجدنا أنها كلما مضت متوغلة في رحلتها مالت الى أن تصبح أكثر قصراً ، واكثر احكاماً ، واكثر سهولة في فهمها وروايتها ، وتقل ألفاظها وتفاصيلها .

وقد أجرى مؤلفا كتاب سيكولوجية الاشاعة جملة تجارب خلاصتها أن ٧٠٪ من التفاصيل تسقط خلال خمسة أو ستة انتقالات من فم الى فم ، حتى وان لم تكن هناك فترة زمنية فاصلة ـ ومعدل السقوط يتبع

اتجاها هبوطيا مطرداً ، وانْ كان آكبر معدل لسقوط التفاصيل يتم في الاستعادات الأولى ٠

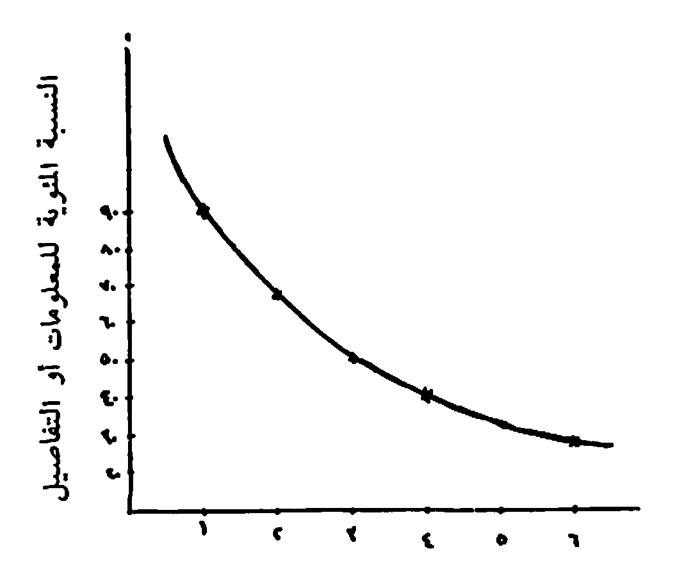
واذ لم ير الراوي الحدث أو المثير الأصلي فانه يفقد أي أثر ضابط منه يؤخر سرعة سقوط التفاصيل أثناء الرواية ٠

وكذلك فانه ليس لديه المتسع الكافي من الوقت «للتسميع العقلي» ٠ كما أنه من ناحية ثالثة لما كان يروي الخبر لجمهور فانه يجد نفسه تحت المحاكمة في قضية الدقـة فيحاول أن يتجنب الأخطـاء باستبعاد العناصر التي لا يثق منها تمام الثقة ٠

وهكذا تنكمش الاشاعة الى أن تصبح على حالة من الاقتضاب تشبه الشعارات ـ وهذا الرسم البياني يعبر عن معدل التسوية ونقص التفاصيل في كل استعادة من الاستعادات المتعاقبة[1] ٠

---

(١) سيكولوجية الاشاعة ص ٩٧ ٠



عدد مرات التذكر أو الاستعادة

وكمـا أن بعض عناصر الخبـر المروي تعرضت للتسوية أي للابعاد أو الطمس فان عناصر أخرى يحافظ عليهـا وتتعرض لعملية مقابلة هـي الابراز وتستمر روايتها الى النهاية •

ولو أجرينا تجربة استعادة أو تذكر على فئات مختلفة لوجدنا لكل فئـة عناصر تسوية وابـراز ، فالعسكري له عناصره التي يهتم بها ويبرزها في المعروض عليه ، وكذلك الطالب له عناصره التي يحافظ عليها ، وهكذا التاجر مثلا ، والمرأة ·· الخ ·

والابراز هو ادراك انتقائي وحفظ انتقائي وادلاء انتقائي لعدد محدود من التفاصيل من بين سياق أكبر ·

وهو غالباً ما يمسك بالألفاظ الغريبة النادرة التي تجـذب الانتباه ، وغالباً مـا يكون ذلك على حساب تفصيلات أخرى أكثر أهمية بالنسبة الى القصة ·

والأسماء والأرقام تحظى بالابراز ، وغالباً ما تميل الأرقام الى التكثير وهناك نوع من الابراز هو ابراز الحركة ، فالناس تميل الى وصف الاشياء بالحركة وان كانت ساكنة وقت الحدث ·

وهناك ابراز الحجم ، فالشيء الاكبر حجماً من بين عناصر متعددة يحظى بالابراز ·

ونوع آخر من الابراز هو الأقلمة الزمنية أو ما يسمى الأحداث الجارية بمعنى أن النفس تميل الى ربط

الاشياء بالحاضر وبمنطقة السخونة ، فلو عرض علينا حادث عنف في صورة خلواً من الزمان والمكان ، لملنا الى اعتباره حاضراً في مكان يشهد عنفاً .

ويحدث ابراز عادة للرموز المألوفة وللافتات .

و «الاغلاق» صورة من صور الابراز . وهو يشير الى ما عند الشخص من دافع الى آن يجعل تجاربه من التماسك والاكتمال والدلالة الى أقصى حد ممكن(٢) .

---

(٢) يرجع الى المرجع السابق .

أنواع الاشاعة

يصعب تقديم حصر منضبط عن الاشاعة وأنواعها وأصنافها ، لاختلاف آثارها ودوافعها والبيئات التي تظهر فيها ـ ولذلك فان أقصى ما يستطيعه الباحث هو أن يقدم تقسيمات كلية لأنواع الاشاعة حسب زاوية النظر التي يقف عندها الباحثون ·

فيمكن تصنيف الشائعات حسب موضوعها ، أو حسب الآثار المترتبة عليها ، أو حسب البواعث والدوافع والنوايا التي تكمن وراءها ، أو حسب سرعتها وزمان انتشارها الى آخر ما هنالك من جوانب يمكن اعتبار كل منها مبرر تقسيم أو فصل تحت باب مستقل أو نوع منفرد ·

أما عن أنواع الاشاعة حسب موضوعها فيمكن تصنيفها وتنويعها الى هذه الأنماط وهي على سبيل التمثيل لا الاستقصاء : السياسة ، الجنس ، الاقتصاد ، القضايا العسكرية ···

وفائدة الدراسة حسب هذا التصنيف تركيز وحصر الموضوعات التي يتداولها الناس ومعرفة مراكز اهتمامهم ووضع العلاج ٠

وأما من حيث سرعتها فيمكن تقسيمها الى هذه الأصناف :

١ ـ الاشاعة البطيئة أو الزاحفة وهي التي تروج ببطء ويتناقلها الناس همساً وبطريقة سرية الى أن يعرفها الجميع آخر الأمر[١] ٠

والبطء أما أن يكون مبعثه صعوبة التوصيل ، أو الترابط الاجتماعي ، أو التخطيط من مطلق الاشاعة ومصدرها ، أو لصعوبة تصديقها واستغراب الناس لها٠

٢ ـ الاشاعة السريعة أو العنيفة ٠ هي التي تنتشر بين جماعات كبيرة في زمن بالغ القصر ، ومن أنماطها ما يروج اثر الكوارث العامة أو الأحداث الضخمة ، وسرعة انتشارها تعزى الى أنها تملك من الدوافع الشعورية ومن الأهمية ما يدفع الناس الى تناقلها والخوض فيها ٠

---

(١) الحرب النفسية لصلاح نصر ، ج ١ ص ٣٢١ ٠

٣ ـ الاشاعات الغائصة ، وتسميها بعض المراجع الغاطسة ، وهي التي تظهر في وقت وظروف ثم تختفى لتعاود الظهور من جديد في مثل الأحوال التي أظهرتها أول مرة ، ومن هذا النمط : الاشاعات المرافقة للحرب ، أو الانتخابات ، أو تشكيل الوزارات ؛ واشاعات الحربين العالميتين الأولى والثانية لانكاد نجد بينهما فارقاً يذكر كما يقول أولبورت[٢] .

ومن أمثلة هذه الاشاعات : تسميم مياه الآبار مثلا ، والاشاعات المتعلقة بفظائع العدو من قطع أيدي الأطفال وألسنة الأسرى .. الخ .

وهذه الاشاعات الغاطسة يمكن تفسيرها بطريقتين : فمن المحتمل أنها ترقد في حالة سبات في عقول بعض الأفراد حتى يستخرجوها بعد سنوات ، وربما يتم ذلك دون تنبه منهم عندما يجدون أنفسهم في موقف بيئي مشابه لهذا الذي سمعوا فيه الاشاعة أول مرة . ومن الممكن أن تتمخض الحاجات البشرية في الظروف المتشابهة عن تولد أقاصيص متماثلة .

---

(٢) اولبورت ٢ سيكولوجية الاشاعة ، ص ١٨٩ .

وتقسيم ثالث يعتمد على عامل البواعث والدوافع ٠

ويمكن أن نذكر بعض أنواعه للتمثيل : الاشاعات التي وراءها دافع العداوة ، أو الرغبة ، أو الخوف ، أو الفضول (الاشاعات الفضولية) ، التبرير ، التفسير ، تخفيف حدة التوتر النفسي والدوافع قد تتشابك ، فيجتمع وراء الاشاعة الواحدة اكثر من دافع نفسي من الدوافع المذكورة ٠

وهناك تقسيم آخر حسب امكانات انتشار وحياة وتداول الشائعة أو عدم ذلك وهي على هذا : اشاعات خاملة واشاعات نشطة ٠

وهناك الاشاعة المروعة أو اشاعة الخوف والاشاعة المتفائلة أو اشاعة الأمن كما عبر عنها القرآن : « واذا جاءهم أمرٌ من الأمنِ أو الخوفِ أذاعوا به » ٠٠

وقد تمس الاشاعات أحداثاً كالكوارث والحروب والأسعار ، وقد تمس أشخاصاً كالمسؤولين ، وهناك اشاعات الحرب واشاعات السلام ٠

واشاعات الحرب يمكن تقسيمها الى ثلاث فئات : الاشاعات الراغبة ، واشاعات الخوف ، والاشاعات المعبرة عن الكراهية والعدائية « داقة الاسافين » ٠

وبالاضافة الى كل هذه الأنواع من الاشاعات فهناك فئات من الاشاعة يصعب درجها في سلك تصنيف معين ، كالتي تتضمن أخباراً عادية لا أهمية لها ، ويمكن تسميتها باشاعات الفضول ٠

تحليل الاشاعة

قلنا ان الاشاعة عميقة الغور في داخل النفس الانسانية ، فهناك تكمن دوافعها ومنطلقاتها ، ونحن في هذا المبحث نحاول أن نفهم النفس الانسانية والمجتمع الذي تنطلق فيه ومنه الاشاعات وتنتشر .

« وليس مما يهم أن تكون الاشاعة «وردية» متفائلة، أو «سوداء» متشائمة ، بل وليس يهم أن تكون مسايرة لهوى النفس وآمالها ، أو مثيرة لقلقها ومخاوفها ، فهي في كل هذه الحالات تضطلع بوظائف نفسية جد مهمة . فهي اذ تتيح «معرفة بديلة» تسد الثغرة وتعوض النقص في موضوع من الموضوعات المهمة انما تفتح الباب على مصراعيه أمام خفايا النفس وأعماقها العميقة .

عندها تنظر الجماهير فترى المشكلات من خلال نفسها وعبر مخاوفها وأمانيها فتسبغ على الأحداث من ذاتها دلالات غريبة عنها . ومن هنا تعد الاشاعة وليدة مجتمعها ، وتعبيراً عميقاً عن نفسيته ، بل ومفتاحاً ذهبياً يتأدى بالدارس الفطن الى مجاهل نفسية هذا المجتمع وأغواره السحيقة .

فالشائعة سلوك من المسالك العديدة للجماعة ، شأنه في ذلك شأن كل سلوك ، لا بد وأن يصدر عن توتر دافع ، يستهدف هدفاً بعينه ، ويسلك سبلا تحمل الطابع المميز للجماعة في لحظة من لحظات حياتها • واذا كان ذلك كذلك ، فان فهم نفسية جماعة من الجماعات يمكن الراغبين ولا شك من أن يتبينوا مدى ما عليه التربة من صلاحية بالنسبة الى هذا النوع أو ذاك من بذور «الاهتمامات» ، ومن ثم يتيح لهم أن يغطوا أرض الجماهير بورود الاشاعات أو بأشواكها وحسكها(١) •

ان الاشاعة قد غدت علماً له قواعده ، وسهل بهذا دراستها وتحليلها ، وفهم الدوافع الكامنة وراءها ، وبالتالي مقاومتها وتفنيدها ، أو اطلاقها وترويجها •

ومما يعين على تحليل الاشاعة معرفة دوافعها ودوافع الانسان يصعب معرفتها معرفة كاملة ، ولذلك لا يمكن تحليل الشائعة تحليلا كاملا لأن الأحوال

---

(١) صلاح مخيمر وعبده رزق مترجما كتاب سيكولوجية الاشاعة ، من مقدمتهما ، ص ٧ ــ ص ٨ •

النفسية والاجتماعية الدقيقة التي تقال فيها الشائعة معروفة معرفة جزئية ·

ومن الأمور الملاحظة والمعينة في فهم الشائعة أنها في مسيرتها تميل نحو التبسيط والاغلاق ، فالأخبار التي كان واقعها غير مختوم بنهاية محددة يميل الناس الى ختمها بنهاية مرضية ، فالمجرم قد تفرض له الاشاعة عقوبة ، لتضع بذلك نهاية مغلقة محددة للخبر أو للقصة من ناحية ، ولترضي الشعور الدفين لدى الانسان بعقاب هذا المجرم وتمكن العدالة منه ·

ثم ان الذي ينقل الخبر أو القصة موضوع الشائعة يعز عليه أن يبدو في موقف الجاهل الذي لا يدري بالتفاصيل ، فحفاظاً على نظرة الذين يحدثهم لا بد من تقديم صورة كاملة عن الموضوع ولو عن طريق ملء الفراغات من الخيال ·

ولو تناولنا اشاعة راجت ابان اشتداد حملات تصفية المسلمين في الخمسينيات والستينيات ، وهذه الاشاعة أن هؤلاء الدعاة يستلمون المبالغ من أمريكا وبريطانيا ·· وقد حاول المروجون في اشاعاتهم هذه

أن يحددوا أرقاماً وشخصيات وأمكنة كان يتم فيها التسليم والصفقة المزعومة ·

أقول لو تناولنا شائعة مثل هذه وحاولنا تحليلها لوجدنا الامور الآتية :

١ ـ الطرف الذي أطلق الاشاعة وسهر على نشرها واذاعتها هو جهاز مخابرات تلك الدولة ، والأحزاب الشيوعية والقومية بهدف امتصاص أي شعور بالتعاطف يمكن أن تثيره وحشية الضربة في نفوس الجماهير · واستغل اسم أمريكا وبريطانيا لما تحمل هذه الأسماء من رصيد كراهية وتاريخ أسود وتجربة مرة في نفوس الشعوب التي ابتليت فترة طويلة باستعمار هذه الدول·

٢ ـ لا بد من اعطاء دليل محدد للعمالة للجهات المذكورة ، فلو قيل انهم يفعلون هذا لعمالتهم للجهة المذكورة لما كان هذا في قوة اثبات العمالة عن طريق تسلم المبالغ ، وهم يزيدون خطوة في تأكيد القضية في نفوس الجماهير بتحديد أشخاص وأمكنة وأزمنة ليوهموا بحقية ما يزعمون ، فاعطاء التفاصيل يوهم بمنطقية القصة وقربها من المعقولية واستحقاقها التصديق ·

٣ ـ قضية تسلم المبالغ تنم عن خبرة ميدانية عملية ، فالحكومات التي سهرت على شراء ذمم عملائها وضمائرهم يسهل عليها تصور القضية وتصويرها على هذا النحو ، والحزبيون الذين يعيشون على حساب السفارات يسهل عليهم أن يستلهموا واقعهم ويقذفوا خصومهم بما فيهم ، على حد قول المثل : رمتني بدائها وانسلت ..

٤ ـ هناك اعتماد كبير على جهل الشعب بحقائق الأمور ، مما ينم عن بعض عزلة للدعاة عن القاعدة الشعبية ، والالما كانت راجت عنهم مثل هذه الشائعة ، ولا لقيت تصديقاً .

* * *

ومن الاشاعات التي ترددت حول اكثر من شخصية اسلامية ، وفي أغلب بلاد المسلمين : عدم التزام بنات تلك الشخصيات الاسلامية أو نسائهم باللباس الشرعي أو الخلق الاسلامي ، وينسج المروجون حول ذلك القصص والنكات ، ويبالغون أو يبسطون كما شاء لهم هواهم وكما أسعفهم خيالهم .

وبتحليل هذه الشائعة ، أو هذا النمط ، تبدو لنا الأمور الآتية :

١ ـ ان الدعاة في بلاد المسلمين مستهدفون ، وأنه يراد تصفية هذا المصدر من مصادر مقاومة الكفر ، والوقوف في وجه الزحوف والتيارات الفكرية حمراء وسوداء .

٢ ـ أن للكافرين في أوساطنا ومجتمعاتنا السنة وعيونا وأجهزة بث بشرية تعمل على تدمير مصادر القوة والطاقة والمقاومة في أمتنا .

٣ ـ أن قضية العرض والشرف والالتزام بالحشمة لا يزال لها صدى ووقع عند الناس ، بالرغم من كل الجهود والمحاولات ، وأن من عناوين الشرف الستر في اللباس ، وأن الناس يعلمون حكم هذا الستر وان كانوا لا يلتزمونه في واقعهم ، لكنهم يعيبون به الدعاة على ادعاء انهم غير ملتزمين به .

٤ ـ ادراك من يحارب هذا الدين ودعاته أن السمعة الشخصية للداعية هي مصدر مهم من مصادر قوته ، وأنه بضرب هذا المعقل تسقط شخصية الداعية ، ويبهت كلامه في نفوس الجماهير ، وهي خطة جاهلية

قديمة اتبتعها الجاهلية مع كل مصلح من أنبياء الله عليهم السلام ٠

٥ ـ يشتمّ من الشائعة أيضاً ، رائحة عزلة الدعاة كما أسلفنا في الاشاعة سالفة الذكر ، والا لما لقيت هذه الشائعات قبولا وآذانا ٠

٦ ـ يؤخذ من الاشاعة ، كذلك ، غفلة الشعب ، وعدم التزامه بأخلاقيات دينه ، اذ كيف يقذف رواده ، ويهرف عنهم بما لا يعرف ، بل بما لم يكن ، ولا يكـــون ٠

* * *

وهناك اشاعة متجددة دوارة لا تغيب عن الساحة حتى تعود اليها من جديد ، ولا بد أن كل واحد منا وقف عليها ، وتلك مزاعمهم التي يقولون فيها في قصاصة مكتوبة ترسل بالبريد احياناً أو باليد مضمونها أن خادم الحجرة النبوية ويدعى الشيخ أحمد قد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخبره الرسول في تلك الرؤيا أن الناس قد انحرفوا وأن القيامة قريب وما شاكل هذا ، ويطلب في نهاية الورقة ممن يقرؤها أن

بنسخ عنها نسخاً يوزعها هـو بدوره والا أصابته الأمراض .. الخ .

والملاحظ أن الاشاعة هذه لا تزال تعيش منذ اكثر من عشرين سنة فما معنى هذا ؟ أظن أن ذلك مؤشر الى أن وراءها تخطيطا وتنظيماً يديم حياتها ويوقده من تحتها كلما خبت نارها . ويمكن أن يسأل البعض وما وجه الخطر في هذه الاشاعة حتى نظن بأن وراءها تنظيماً ؟ ونقول بأن المقصود منها ابقاء المسلمين خرافيين ينتظرون المنامات ويستلهمونها في مواقفهم ، وتقصد كذلك الى اشاعة روح الهزيمة في الناس اذ تقول له ان الناس قد انحرفت وابتعدت عن دينها دون أن تذكر الأمل في عودتهم من شرادهم .

ثم تقصد أيضاً الى الايهام بأن الكفر سيبقى على ما هو عليه وأن القيامة ستقوم قريباً ونحن على هذا الحال ، وفي عقيدة المسلم ما ينقض هذا ، وذلك اعتقاده اليقيني المروي عن رسوله بالتواتر أن الأرض كلها ستحكم بشريعة الاسلام قبل الساعة وستكون كلمة الله هي العليا في الأرض كلها وعلى الدين كله كما هو وعد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وفي الاشاعة من ناحية رابعة صرف للمسلمين عن الواقع ليعيشوا في عالم مهوم من الاساطير والماورائيات ويتركوا الحياة والواقع والأرض والناس لأهل الفساد والشر .

ولسنا ننكر الغيب ، معاذ الله ، ولكننا ننكر الاساطير التي يوهمون أنها من الغيب .

ومن خلال رواج الاشاعــة في جمهورنــا البسيط نستطيع استشفاف عدة أمور ، منها قلة وعي جمهورنا خاصة في الخمسينيات والستينيات ، وأن دينه لا يعني بالنسبة له الا شيئاً غامضاً غير محدد يمكن لكل مبطل أن يتلاعب به ويحرف منه دون أن يثير فيه ذاك التلاعب أي داع من دواعي الانتباه ، لأنه غارق في بحار اللاوعي ، وفي حالة من الغيبوبة الفكرية عميقة .

ونستشف منها أن جمهورنا في أعماقه متدين وان بدا في الظاهر منسلخاً متحللا وأنه ان خوطب بالدين تحرك وتأثــر واستجاب ، حتى ولــو كانت المخاطبة مخطوءة .

ونعيد الى الذهن نتيجة أخرى هي أن وراء حالة الغيبوبة قوى تديمها وتطيل من أجلها اقصى مدة مستطاعة حتى يسهل امتصاص هذه الجماهير المخدرة واستنزافها ، وسرقتها لحساب القوى الكافرة الكبرى ٠

واذكر في أعقاب حرب سنة ٦٧ وما تجرع الناس فيها من ويلات وهزيمة مرة زاد من مرارتها عدم توقعها ـ من الاكثرية ـ أقول عقب تلك الهزيمة تناقل الناس اشاعة متفائلة أسطورية وهي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر الناس بنصر قريب وأن هناك علامة على هذا النصر وهي أن الكثيرين وجدوا في داخل مصاحفهم أثراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم هو شعرة من شعره الطاهر عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ٠

وسرت الاشاعة سرياناً نشطاً في الناس ، وكأنك انتشلتهم من هوة وقرارة عميقة ، فقد خففت عنهم هذه الاشاعة ما شفهم من حرقة وفاجعة الهزيمة وصار الناس يقلبون المصاحف ليبحثوا فيها عن ذلك الأثر ليدعموا خيط الأمل الذي تراءى لهم في هذه الشائعة التي ظنوها حقيقة ٠

أقول ، لو جئنا نتأمل هذه الاشاعة ونحاول تحليلها فماذا نستخلص منها من عناصر ؟ من العناصر التي نستخلصها أن الناس في أعقاب الكوارث ينشط خيالهم ويفزعون الى الوهم لعدم القدرة على مواجهة الواقع المر ، ومن هنا فان الناس كانت تقسو على من يفند لهم هذه الاسطورة لانها تشكل بالنسبة لهم حلماً لذيذاً لا ويفزعون الى الوهم لعدم القدرة على مواجهة الواقع المر ، الأليـــم ٠

وهذا يقفنا على نوعية الجمهور الذي كنا أعددناه للمعركة ، قطاع بلا وعي ، ولا ارادة ولا صلابة ولا احتمال ، ولا رؤية للواقع ٠٠ الخ ٠

وقد تكون الشائعة التي أسلفنا من صنع المعذبين أنفسهم أولئك الذين وقعوا في قبضة الانسحاق الروحي واليأس القاتل والهزيمة النفسية التي أعقبت الكارثة العسكرية ، صنعوها بدون وعي ولا قصد شعوري وانما بطريقة لا شعورية ليتسلوا بها عن مأساتهم ، بدل التفكير العلمي في وسيلة للمقاومة على ضوء معطيات الواقع عندنا وعند عدونا ٠ صنعوها ليعلقوا مقاومة

العدو على القدر وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجوا هم «براءة» من التكاليف والتبعات وبذل أي جهد ، كل ذلك عن عدم حضور ذهني أو شعوري ٠

لقد وقفنا في أعقاب سنة ٦٧ نعيد بصورة لا شعورية ما وقفه اليهود مع موسى عليه السلام أمام فلسطين بصورة شعورية حين قالوا : « اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون » ٠

وليس بعيداً أن تكون الاشاعة من افراز عدونا نفسه وروجت لها عناصره المنبثة فينا لانامة الجماهير وهدهدتها بهذا الصوت والرؤى الملونة المجنحة ٠

الاشاعة في السلم والحرب

ولئن كانت الاشاعة في ظروف السلم تلعب دوراً خطيراً ، فهي في ظروف الحرب أشد خطراً ، ذلك لأن أمور الحياة — وقت الحرب — تختلف اختلافاً عميقاً ، وتكون المعنويات والنفوس هي الميدان الثاني للاحتراب ، يوجه اليها كل فريق أسلحته ووسائل تدميره ، وبث اشاعاته في المعسكر الخصم .

ومن ناحية ثانية فان طبيعة التكتم الذي يلف العمليات والتحركات والخسائر يجعل الفرصة جد مهيأة لبث التقولات واطلاق التخرصات .

ومن ناحية أخرى ، فان الحروب تحتوي دائماً على مفاجآت سواء منها ما كان في الجانب الاستراتيجي أو التكتيكي ، مما يتعلق بأنواع الأسلحة ونظام التعبئة ، وهذه المفاجآت أيضاً تربة خصبة للاشاعات والتوقعات.

وكلنا يذكر حرب رمضان ٧٣ ، والثغرة التي أحدثها اليهود في جبهة مصر وثارت حولها زوابع من الاشاعات ، وزوبعة خاصة أخرى حول الجيش المصري الثاني المحاصر وظروفه وتطورات وتوقعات المستقبل، ودوامة أخرى

حول الاسلحة الموجهة تلفزيونياً ، ونـزول الجيش الأمريكي ٠٠ الى آخر ما هنالك من أحاديث تناقلها الناس وقتذاك في محاولة منهم لتغطية الجزء المظلم والمعتم من الأخبار ، وفي محاولة كذلك لاثبات المشاركة بأي وسيلة حتى ولو بتناقل الاشاعات ٠

وللاشاعة في الحروب استراتيجية وتكتيك ، وليست عملا ارتجاليا ، وقد كانت استراتيجية ألمانيا في الحرب العالمية الثاني هي : «فَرِّقْ تَسُدْ» ، وكان لهم خط استراتيجي آخر هو «بث الرعب» ، وقد كتب ادموندتايلور كتابه : «استراتيجية الرعب» يشرح فيه ما قامت به ألمانيا في هذه الناحية ، وتمهيدها بغارات جوية مكثفة لاشاعة روح الهزيمة ونشر القصص ٠ وقد كانت الحملات الألمانية مركزة ومتناسبة مع كل مجتمع وجهت اليه ٠

على أن استراتيجية فرق تسد تقتضي مكراً أشد وحيلة أوسع ، ولا بد من اجراءات عملية أو استغلال أحداث واقعية لتدعيم كلا الاستراتيجيتين ، ولا يكتفى بمجرد اطلاق الاشاعة ٠

أهداف الاشاعة في الحرب

يمكن تلخيص الأهداف التي تستخدم فيها الاشاعة في الحرب بما يأتي :

١ ــ الاستخدام بقصد التفتيت • ويمكن أن نقصد بالتفتيت تفتيت المعنويات أو تفتيت الصفوف • ويمكن أن نتصور تفتيت الصفوف على واحد من هذه الأنحاء أو بها جميعاً •

« أ ــ بث الفرقة والشقاق بين صفوف العدو وجماعاته •

ب ــ التفرقة بين العدو وحلفائه ودفعهم الى التخلي عن نصرته •

جـ ــ تحييد القوى الأخرى وحرمان العدو من محالفتها »[1] •

وقد استخدم الألمان الاشاعات المتفائلة والمتشائمة بقصد تفتيت معنويات الفرنسيين ، فكانوا يجعلونهم

---

(١) المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية : جمال الدين محفوظ ، ص ١٢٢ •

يتأرجحون بين الأمل واليأس ، وينشرون فيهم قصداً أنباء انتصارات موهومة ثم لا يلبث أولئك أن يكتشفوا أنه لا أساس لها من الصحة فيرتدون في قرارة اليأس — ثم يطلقون فيهم اشاعة عن هزيمة أو خسائر فيزدادون كرباً على كرب وضعفاً على ضعف ·

كما استخدموا الاشاعة بقصد تفتيت الحلفاء ، وايجاد جو من عدم الثقة بينهم ·

٢ — استخدام الاشاعة كستارة دخان ، في سبيل طمس الحقيقة أو الاخبار الصحيحة يمكن اطلاق سيل من الشائعات من ضمنها بعض المعلومات الصحيحة ، فيضطرب الطرف الخصم فيما وصله من معلومات لعلها تكون من قبيل السيل الذي يسمعه من الشائعات ، وبهذا الأسلوب يصعب على الجانب الآخر اكتشاف الأسرار الحقيقية والاخبار الصحيحة من الاخبار الكاذبة ·

٣ — تحطيم وسائل اعلام الخصم · بأن تنشر خبراً يوهم أن العدو أصاب منك شيئاً أو تخرج اشاعة بهذا الخصوص ليذيعها العدو أو ينشرها في محطاته ·

أو وسائله الاعلامية ، ثم تأخذ أنت الخبر وتفنده على الواقع فتنحط قيمة اعلاميات العدو ٠

٤ ــ استخدامها كطعم تتصيد به المعلومات والأنباء التي يتكتم عليها العدو ٠ مثال ذلك أن تنشر أخباراً أو شائعات عن خسائر ضخمة في صفوف العدو ، فتضطره أمام ضغط شعبه أن يعربَ عن الحقيقة ويبينها ، فيقدم لك معلومات كنت أنت في أمس الحاجة اليها[٢] ٠

وهنا يبرز دور القيادة المحنكة الذكية المجربة ، ودور الشعب الواعي المتفهم الصابر المتعاون مع قيادته المخلصة ٠ وبدون هذين العنصرين يسلم الناس مقاتلهم لعدوهم وهم لا يشعرون ٠

٥ ــ « تشكيك العدو في سلامة وعدالة الهدف الذي يحارب من أجله ٠

٦ ــ زعزعة ثقة العدو في قوته من حيث الرجال والعتاد والقادة ، وثقته في امكان احراز النصر واقناعه بأنه لا جدوى من شن الحرب أو الاستمرار في القتال »[٣] ٠

---

(٢) يرجع الى كتاب صلاح نصر : الحرب النفسية ، ج ١ ص ٣٢٥ ٠
(٣) جمال محفوظ : المرجع السابق ، ص ٢١٢ ٠

٧ ـ بث الرعب في قلوب الأعداء وتهديم قواهم النفسية والمعنوية ، وفي هذا نتذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم : «·· ونصرت بالرعب مسيرة شهر»[٤].

وما كان ينشره الأعداء عن خالد رضي الله عنه من اشاعات لعبت دورها الفتاك في معنويات أولئك الأعداء ، ومن ذلك مثلا في معركة اليرموك أن جرجة سأل المسلمين ، وجرجة رسول الروم الى خالد : هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تسله على قوم الا هزمتهم ··· الخ[٥] .

وقد « كان جنكيز خان مبرزاً في نشر الاشاعات المروعة عن جيشه ، فكانت قوافل التجار تشيع بين أعدائه ـ وصفاً أسطورياً لجيشه ، مؤكدة أن جنوده يغتذون بالثعالب والكلاب »[٦] .

---

(٤) رواه البخاري باب التيمم .

(٥) أنظر القصة بطولها في الكتاب التاريخي العسكري القيم : الطريق الى دمشق لاحمد عادل كمال ، ص ٤٥٦ ، ومن تمام القصة اسلام جرجة .

(٦) من مقدمة صلاح مخيمر لترجمة سيكولوجية الاشاعة ، ص ٩ .

استراتيجية وتكتيك الاشاعة

هـل للاشاعة قاعدة تنطلق منها ، أم أنها عمـل فوضوي يقوم به فرد أو جماعة لتحقيق مقاصد قريبة أو بعيدة ؟

وللاجابة عن السؤال نقدم أولا بأن هذا الزمن هو زمن التخصص وتوسع العلوم ، وتشقيق الفروع من الأصول ، فعلم النفس مثلا ولّد منه أصحابه فروعاً كثيرة جداً ، وأصبح كل فرع علماً قائماً بذاته ٠

والاشاعة في هذا الجو المولع بالتعمق والاستقصاء لم تعد عملا فوضوياً غير منضبط وانما غدت علماً من العلوم المنضبطة ذات المناهج والقواعد والأسس ٠

ومن ناحية أخرى ، فان من أطلق الاشاعة له أغراض وأهداف محددة ، ولذا فانه يسلك في تحقيقها طريقاً منظماً محدداً من شأنه أن يوصل الى المراد ، ويصيب بدقة الأهداف المرسومة ٠

ولسنا نعني ـ بطبيعة الحال ـ أن كل اشاعة ومشيع هو أو هي بهذه المثابة ، فلسنا ننفي وجود العمل

الفوضوي ، والاشاعة الفوضوية ، وانما نعني أن من أراد دراسة الاشاعة علماً واضحاً منضبطاً أمكنه ذلك ٠

وقد أسلفنا أنه كان للأطراف المتنازعة في الحربين العالميتين خطوط ثابتة وأخرى متغيرة في حملاتهم النفسية ، أو بتعبير آخر كان لهم استراتيجيتهم وتكتيكهم ابان تلك الحروب وبعدها ٠

فبريطانيا مثلا أنشأت في عام ١٩١٨ قسماً للدعاية ضد العدو برئاسة اللورد نورثكليف ، كما أمر الرئيس الأمريكي ولسون بانشاء مكتب للاستعلامات العامة تحت رئاسة جورج سريل على أساس الاستفادة من الخبرة المستخلصة من الاعلان التجاري ٠ وقد « بلغ ما أسقط من منشورات على المانيا بواسطة البالونات خلال اكتوبر تشرين عام ١٩١٨ (٥٫٣٦٠٫٠٠٠) منشوراً ٠ كما لعب عملاء بريطانيا وفرنسا وأمريكا داخل المانيا دوراً في توزيع هذه المنشورات »[1] ٠

---

(١) ميلوش ماركو : الحرب النفسية ، ص ١٦ ٠

ولكن ألمانيا قد سبقت في هذا المضمار خصومها ، فقد طورت وسائلها في الحرب المعنوية حين آنشأ هتلر وزارة خاصة بالدعاية ، ووجهت برامج اذاعية الى العديد من بلدان العالم ، وكذلك فعلت الدول الغربية ـ ثم دخلت الاذاعات السرية ميدان الاحتراب .

ومن الخطوط الثابتة للدعاية الألمانية الخط الاستراتيجي الملخص في شعار : « فرق تسد » ثم الخط الاستراتيجي الآخر : « خط الرعب » .

ويبقى مجال الابداع التكتيكي مفتوحاً للتطبيق اليومي لهذين الخطين ، ولغيرهما بطبيعة الحال حين تتفتق عبقريات الشر في المعسكرين ، بل في المعسكرات الجاهلية ، وتنشيء أساليب شيطانية في قهر الخصوم والتغلب عليهم توفيراً للجهد والوقت والجنود .

والناظر في الخط الاستراتيجي للاعلام الاسرائيلي يجد واضحاً خط التفرقة والعزف على أوتار العنصرية الاقليمية أو الطائفية وفي حروبه المتوالية مع العرب

كان يعتمد هذا الخط[2] ، بالاضافة الى خط استراتيجي آخر هو اشاعة تفوق الجندي الاسرائيلي وتخلف الجندي العربي واليأس من احتمال النصر ، وفي سبيل تحقيق هذا الخط كان يلجأ الى الأخبار والاراجيف والاشاعات التكتيكية التي تخدم الخط الاستراتيجي ٠

---

(٢) في حربه الأخيرة عام ٨٢ في لبنان تجلى هذا الخط حين حاول التفرقة في صف المسلمين بين لبنانيين وفلسطينيين وهو في الحقيقة يقصدهم جميعاً ، وحاول استغلال الأقليات العديدة في لبنان وتوظيفها لتحقيق مآربه أو تحييدها على الأقل ان لم يكن كسبها ٠

الاشاعة والمثل والنكتة

تعتمد الاشاعة في رواجها وانتشارها بالاضافة الى التهيؤ النفسي والاجتماعي لدى الجماهير ، على الصياغة المعبرة المختصرة المؤثرة .

ولذلك فقد يستعمل المثل الشعبي الدارج في الترويج لاشاعة ما عن شخص أو جهة ، لأن المثل يحوي الميزات المطلوبة من الاختصار ودقة السبك والتأثير النفسي ، ولأن المثل عمل على تنقيحه وصياغته أجيال متعاقبة ، واشترك في تهذيبه عقول كثيرة ، وألسنة وأفهام وتجارب وأشخاص ، والمشيع الذكي يأخذ هذا السلاح جاهزاً فيوجهه نحو خصمه فيعطي المثل صورة تطبيقية من الواقع المعروض محور الاشاعة .

ففي اشاعة عن شخص في موقع مسؤولية مالية أو غيرها قد يستعمل خصومه في حربه وينقلون بين الناس عبارة من كلمتين هي المثل الدارج : « حاميها حراميها » .

وقد تستعمل النكتة أو الواقعة الفكاهية أو الكاريكاتير في اطلاق الاشاعات أو ترويجها ، وسواء

صدقها الناس أم لم يصدقوها فانها تفعل فعلها في حرب الخصم وتهديم بنيانه أو اضعافه ٠

وفي فترة الستينيات ، حيث ركزت الحرب ضد هذا الدين تركيزاً أثيماً لم يسبق له نظير ، خرج في الساحة سيل من النكات المطلقة على العلماء أو الشيوخ أو المسلمين المتمسكين بدينهم مما كان له الأثر البالغ والسيء في النفوس ، وأثره التهديمي الواضح في مقومات الأمة ، ولكن ٠٠ ماذا يصنعون ، والله غالب على أمره ؟!

وقد ساهمت ريشة رسامي الكاريكاتير في هذه الحملة على رجالات الاسلام وعلمائه ، فالعلامة الشيخ حسنين مخلوف كانت الكاريكاتيرات التي تقصده وتلمزه تطلق عليه اسم الشيخ متلوف ، وقد رسم في احدى المرات أحد الشيوخ في موقف غير لائق بين راقصات يشاركهن الرقص ، ليوحي للقاريء جملة من الايحاءات السلبية ضد الدين ومن يدعون اليه أو يرتبطون به ٠

وقد صدر في فترة من الفترات ملحق كاريكاتيري لاحدى المجلات «الدينية» !! يصور الدعاة مجرمين أعواناً

للشيطان قتلة سفاحين متصلين بالأعداء والقوى الاجنبية ٠

ومخلفات تلك المرحلة لا تزال في أفلام السينما حين تصور الشيخ أو المأذون أو المتدين أو رجل الطريقة ٠٠ الخ ، مأفوناً من المأفونين ، غريباً عن الحياة والناس حتى في طريقته في الكلام وفي ملابسه وحركاته وشكله ٠٠

وحتى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتورعوا في ديار الاسلام من أن يسيئوا اليه بالنكتة والكاريكاتير ولا أقول ما صورته به مرة جريدة يومية مشهورة تلمز قضية زواجه صلى الله عليه وسلم ، وقد ألف كاتب شيوعي عميل مسرحية جعل عنوانها : « محمد ٠٠ احمل حقائبك وارحل » ــ ورحل الباطل والحمد لله ، وبقي الحق وأهله ٠ ولله الأمر من قبل ومن بعد ، وله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، وقد انفثأت تلك الفقاعات وزهق الباطل وانطمس وفقاً لقانون الله :

« فأما الزبدُ فيذهبُ جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكثُ في الأرض » الرعد ٠

وكان حصاد تلك التجديفات على قيم الاسلام هزيمة عام ٦٧ التي أعقبها سيل من النكات في الخط المعاكس ، فقد بـدأ المكبوتون والمختنقون يتنفسون مـن خلال النكتة ، ويعبرون عن معارضتهم وكرههم للأوضاع ، ويحللون ظروف الحرب وأسباب الهزيمة كل ذلك من خلال النكتة • ورصدت الأجهزة الشارع الذي يطلق الاشاعات وحاولت تطويقها ، ولكن الموجة كانت فوق الاحتـــواء •

« ومن النكات التي راجت في الحرب العالمية الأولى والثانية أن رجلا انجليزياً كان يستحم في بحر المانش وكان يرتدي (فانلة) صديق أمريكي اقترضها منه وكان كتب عليها عبارة : « لقد كسبت أمريكا الحرب » ، ونادى الصديق الأمريكي على صاحبه الانجليزي يحذره من سمك القرش فرد الانجليزي مشيراً الى الكتابة على الفانلة قائلا : « لست أخشى شيئاً ، فليس هناك سمك يرضى أن يبتلع مثل هذا الكلام » • وقد رويت النكتة أيضاً على عكس الرواية السابقة اذ جعلت السابـح أمريكياً والنقش متحدثاً عن نصر الانجليز ، والنهاية واحـــدة »[1] •

---

(١) الحرب النفسية لصلاح نصر ، جـ ١ ص ١٤٠ •

الاشاعة والروح المعنوية

الاشاعة قد تكون سلبية أو ايجابية ، متفائلة أو متشائمة ، بيضاء أو سوداء ، اشاعة أمن أو اشاعة خوف كما أشارت الآية : « واذا جاءهم أمر" من الأمن أو الخوف أذاعوا به » · والاشارة القرآنية لم تحبذ كلا النوعين من الاشاعات وحملت على الاذاعة سواء أكانت للجانب المتفائل أم المتشائم ·

وقد يبدو لأول وهلة أن تناقل الجماهير لاشاعة حسنة أو طيبة التوقعات فيه مصلحة ، وبالتدقيق يتبين لنا حكمة النهي عن هذا · فالاشاعة المطمئنة قد يترتب عليها عدم التقدير السليم للموقف والمبالغة في تقويم الذات والتهوين من الخصم ، وقد يترتب عليها انهيار الروح المعنوية حين يفاجأ الصف بعد قليل بحقيقة الموقف وبما يصدم مشاعره التي حضّرها في اتجاه معين ولم يعبئها للنقيض ·

ولأمر حكيم كان في بدر ما عبر عنه القرآن بهذه الصورة : « ·· ويقللكم في أعينهم » لقد استهانت

الجاهلية المتغطرسة بجيش ليس يبلـغ ثلث جيشها فكانت النتيجة ما كانت ٠

وقد ينبني على الاشاعة المتفائلة ايصال معلومات عسكرية أو اسرار عن الجبهة الداخلية الى معسكر الخصم فيفيد منها ولا نحقق نحن شيئاً ٠

قال في كتاب سيكولوجية الاشاعة : « والاشاعات الراغبة من ناحية أخرى ، بما تنطوي عليه من تفاؤل جد ساذج قد أدت أحياناً الى الرضى عن الحال بما يوهن العزائم ، ويتبدى استعداد الناس للاستنامة عند تلقيهم الأخبار السارة من هبوط تبرعات الدم اثر أخبار الانتصارات ، فكلما اعتقد الناس في اشاعات النصر الوشيك أو النهاية القريبة للحرب كانوا يميلون الى التلكؤ في الجهـود التي يبذلونها والى التقليل مـن التضحيات التي يقدمونها »[1] ٠

واذا كان النوع الأبيض من الاشاعات يلقى مثل هذا النهي ، فكيف بالآخر الذي كان أساساً لازهاق واهدار ما لدى الجماهير من ثقة أو تماسك ومعنويات ٠

---

(١) سيكولوجية الاشاعة ، ص ٢٨ ٠

لا ريب أنه أجدر بالمنع وأولى بالمقارنة ـ فقد يقود هذا النمط مــن الشائعات الى تصرفات يكون مــن شأنهــا ضعضعة وزعزعة الجبهة داخلياً وخارجياً ، فالجندي في خندقه ان انتشر في ثكناته ووحدات القتال التي هو من ضمنها أن العدو وصله نوع قذائف موجه لا يخطيء بل نسبة اصابته رهيبة وقوته التدميرية عجيبة ، كان من شأن هذا أن يفت في العضد ويوهن العزائم · وتسري هذه الروح من الجنود الى الشعب وأحياناً تعكس سيرها من الشعب الى الجيش ·

ولا ننفي هنــا كون المعنويات متصلة بالناحيــة المادية ـ ولو بنسبة ما ـ ولا نقول ان الايمان بالعقيدة الاسلامية ينزع التقييم المادي بالكلية ، والا لكان مطلوباً من المسلمين بأي عدد كانوا وتحت أي ظرف أن يواجهوا الجاهلية ، وليس الأمر كذلك ، فهؤلاء هم صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم ، يَصِفُ القرآنُ موقفهم في غزو بني النضير وكيف كان تقويمهم للموقف، وأنهم لما أحاطوا علماً وعن كثب بحصون عدوهم داخلهم شعور بعدم امكانية خروج اليهود مــن قلاعهم فقال سبحانـــه :

« هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ٠٠ » الحشر ٠

وحسب المستوى التربوي الذي عليه شعب ما يكون صدى وتاثير الاشاعات على معنوياته ، فكلما كانت النفوس محكمة البنيان والعلاقات قوية الاركان كان ثمة اطمئنان الى أن الاشاعة لن تنخر في الصف ولن تدخل بين الفئات ولن تقتحم النفوس والمعنويات ، وعلى العكس فيما اذا كانت النفوس مهزوزة والعلاقات مضعضعة ، فان المحتمل حينئذ والمتوقع أن الاشاعة تؤتي أكلها ونتائجها ٠

ونظرة على موقف المسلمين الذي سجلته هذه الآية يتبين المراد :

« الذين قال لهمُ الناسُ انَّ الناسَ قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهمْ ايماناً وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » ٠ آل عمران ١٧٣ ـ ١٧٤ ٠

فهذه اشاعة أطلقها القرشيون عقيب أحد قاصدين منها أن يوهموا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه أن عدوهم قد حضّر قوات جديدة من القبائل وعاد لاستئصال الاسلام ، ولم تستطع تلك الاشاعة أن تجد لها طريقاً في نفوس محصنة مؤمنة بل آتت أكلا عكسياً ورداً غير متوقع من الكافرين ، فاذداد المؤمنون ايماناً بدل أن يتزلزلوا ، واعتصموا بالله وتقووا به بدل أن يفروا من وجه القوات الزاحفة الموهومة ٠

وفي المقابل أطلق الصف المسلم اشاعة مضادة أنه قد خرج في هذا اليوم من لم يكن خرج بالأمس وأن المسلمين ملء قلوبهم التصميم على انتزاع النصر وتعويض خسائر أحد ٠ ولما كان صف قريش لا يملك المؤهلات النفسية والتربوية التي عند المؤمنين ، فقد دمرت موقفه تلك الاشاعة ، فعزم القائد العام أبو سفيان على العودة وعدم المخاطرة ، وانفرط عقد الاصرار الذي كانــوا يتظاهرون به ، وخفتت الحمية الجاهلية لأنها لا تصمد أمام التحديات الحقيقية ٠

الاشاعة والرأي العام

الاشاعة وثيقة الصلة بالرأي العام ، وهي من عناصر تكوينه والتأثير فيه ـ والتقاء الاشاعة بالرأي العام من أكثر من زاوية ، فهي أولا لم تصدر الا لكونها تمس موضوعاً ذا اهمية بالنسبة للرأي العام ، أو على الأقل بالنسبة لقطاعات واسعة فيه • وهي في النهاية تعود لتصب في الرأي العام تأثيراً وتفاعلا • فهي اذن ـ بدءاً ومصباً ـ متصلة بالرأي العام • ولئن ساهم الرأي العام في صناعة الاشاعة ، فان الاشاعة تعود بدورها لتصنع هي الرأي العام وتؤثر فيه وتسيره الوجهة التي تريـــد •

ومن ناحية أخرى فان الشائعة التي تنطلق من مجتمع تكون محملة بثقافة هذا المجتمع ، وتكون متأثرة بعاداته وقيمه وعقليته ونفسيته وأنماط حياته •

والاشاعة ـ كما يطلق عليها البعض ـ هي الرأي العام الطارىء ، حيث يمكن الوصول الى اجماع حول

قضية ما بمجرد اطلاق اشاعة ، ودون الحاجة الى القيام بعمليات مدروسة مطولة .

ومن ناحية أخرى ، فان هناك تبادلا تأثيريا مشتركاً بين الفرد والجماعة ، ولما كان السلوك يتأثر بالشائعة فتصبح الشائعة بالتالي وسيلة من وسائل تكوين الراي العام ، والتأثير في سلوكه ومواقفه فرداً أو جماعة ـ والشائعة ـ أيضاً ـ انما تعبر عن اهتمامات أو تعلقات وتطلعات الرأي العام ، وهي بالتالي ترجمانه النفسي والخلقـي والفكري ، ومصور قيمـه وعاكس نفسيته وسلوكـه .

والرأي العام تبنيه بالدرجة الأولى وسائل الاعلام ، وهذه الوسائل من مصادرها المهمة الاشاعة . وكم لمكذوب الأخبار من آثار ودمار ، وما دائماً يملك الناس التصحيح والحقيقة ، وما دائماً يقفون على الوقائع كما هـي . ومـا اكثر الاشاعات حـول مخالفي الأوضاع السائدة ، فهم يتعرضون للتصفية ويتهمون ، وعلى رأي المثل : ضربني وبكى وسبقني واشتكى ، واذا كان خصمك القاضي فلمن تشتكي .

والمتابع المهتم لا يزال يذكر الحملات الشرسة المثارة مـع كل حملة تصفيـة واجهت المسلمين • فتخزين الاسلحة مثلا ، والصلات بالسفارات ، وحفر المصاحف لتهريب المسدسات ، وتخطيط نسف الجسور والمحال العامة ، وتبييت نية الانقلابات ، وخطط الاغتيالات ، وما الى ذلك من ترهات واشاعات لم يكن الصف المسلم يستطيع ازاءها دفعاً ولا رداً • فكان للاشاعة مئة فم ومئة لسان ، ولم يكن الحق يملك في المقابل شيئاً •

الاشاعة والحرب النفسية
بيننا وبين العدو الاسرائيلي

لسنا مبالغين اذا قلنا ان أمضى أسلحة العدو في حربنا الحرب النفسية ومن ضمن وسائلها بل من أهم وسائلها الاشاعة ٠

وكما تتطور الاسلحة المادية طور العدو هذا السلاح وزاد من فعاليته ووسع استخدامه ، ومنذ مؤتمر بال في سويسرا وعدونا يوظف في خدمته هذا السلاح ، ويحشد له خبراء النفس من أساتذة الجامعات ومن غيرهـــم ٠

ومـن ذلك الوقت وهـو يبث اشاعاته على ثلاث موجهات ، فعلى صعيد الداخل أي فلسطين والعرب ومن اليهم كان يشيع أنه بمهاجريه القلائل لا يبغي أكثر من المأوى والعمل ، وكان اليهود يلبسون لهذا الدور ثوب الحمـــل ٠

وأما على صعيد الغرب أوربا وأمريكا فقد نشطت وسائلهم تهيىء الأذهان لميلاد اسرائيل ، وتوهمهم أن هناك « أرضاً بلا شعب هي فلسطين وشعباً بلا أرض

هم اليهود »[1] • حتى وصلوا بعد الحملات المكثفة والجهود المنظمة الى استصدار وعد بلفور وما هو أكثر منـــه •

وأما على صعيد اليهود أنفسهم في الشرق والغرب فقد نشطت أجهزة البث والتعبئة الشعبية في العزف على نغمة أرض الميعاد والأجداد ، وأن فلسطين ستكون بالنسبة لليهود موضع قدم يقفزون منه على بقية العالم العربي المهلهل الأوصال والأحوال ، وأنها الأرض التي ستغدق عليهم المن والسلوى والعسل واللبن •• وأنه آن لليهود أن يستريحوا مـن عناء التشرد والمجـازر والمذابح تحت كل سماء • بل يذهب بعض المحللين الى بعيد حين يصورون أن مجازر هتلر في المانيا انما كانت بترتيب يهودي حتى يضطر اليهود الى الهجرة من البلاد التي بنوا فيها وضعهم الاقتصادي وتكيفوا معها الى فلسطين التي سيبدأون فيها من الصفر •

لقد وضع الاعلام الاسرائيلي الشعب اليهودي بين خيارين امّا الفناء والموت والذوبان في الشعوب التي يعيش اليهود بينها واما الاستقلال في أرض الميعاد وحفظ

---

(١) راجع الرأي العام للدكتور محمد عبد القادر حاتم ـ مقدمة الكتاب•

الشخصية اليهودية بالهجرة الى فلسطين واقامة الدولة العبرانية فيها .

وكان لهم في النهاية ما أرادوا ليس لأنهم قدر لا يرد ولكن لأن الساحة خواء فانتصر التخطيط على الفوضى .

وبعد مرحلة من المخطط اليهودي بدأ اليهود ينفذون الخطوة التالية وهي تهجير الفلسطينيين وتفريغ فلسطين من أهلها .

وكان ما كان من مذبحة دير ياسين التي نفخ فيها جهاز الاعلام والاشاعة الاسرائيلي وكبرها ليوظفها في تخويف العرب وبث الرعب في قلوبهم حتى يرتحلوا .

ولقد وقعت في المصيدة أجهزة الاعلام العربية حين ضخمت هي الحدث فحققت مراد العدو ـ بغباء أو عمالة ـ من حيث قصدت ـ في الظاهر ـ الى تعريته وفضحه أمام الرأي العام العالمي .

ولكن اعلامنا لم يصل لفضح اليهود بل وصل لتهديم معنويات أهل فلسطين .

وانتصر التخطيط من جديد على الفوضى .

ثم كانت هزيمة ٤٨ ، وهزيمة ٥٦ ، وهزيمة ٦٧ وفق المتوالية العشرية الاسرائيلية .

وفي كل مهزلة أو معركة من المعارك السالفة كان سلاح الاشاعة يلعب دوره المهم والفعال لصالح اسرائيل وفي كل مرة ـ وبغباء أو بعمالة ـ يقع الاعلام العربي في الشرك ليروج للاشاعات الاسرائيلية ·

ففي سنة ٤٨ كانت اشاعة أن الفلسطينيين باعوا أرضهم ـ وأكثر ـ لليهود ، وأن عدداً كبيراً جداً من الجواسيس ـ منهم ـ يشتغل لحساب اسرائيل ، ويستشهدون لذلك بأسماء من بدو بير السبع وغيرها ، ان صدق منها واحد ، فهي فيما وراءه محض اختلاق وافتراء·

ولقد سرت الاشاعة حتى على لسان العسكريين القادة والمسؤولين ، وأي احباط نفسي أشد من الاحباط الناشيء عن مثل هذه الاتهامات والشكوك ؟

ولقد ترتب على هذه الاشاعة أن أقصي العنصر الفلسطيني ـ في ذلك الوقت ! ـ عن الساحة لهذه الدعاوى(٢) ·

---

(٢) راجع كتاب الاستاذ كامل الشريف : الاخوان المسلمون في حرب فلسطين سنة ٤٨ والذي صدرت طبعته الثالثة تحت عنوان : قتال الفدائيين في حرب فلسطين فقد جاء في هذا الصدد : =

ثم بدوا بعد تفوقهم العسكري الذي أذهل المحللين العسكريين يشيعـون اسطورةَ ووهمَ أنهـم القـوة العسكرية التي لا تقهر ، وأنه لا أمل للعرب في قتالهم وما عليهم أي العرب الا أن يتعايشوا معهم ويرضوا بالأمر الواقع ، ولا جدوى من مناطحة الصخر ٠

وكذلك أشاعوا عن قياداتهم العسكرية وعبقريتها في التخطيط وكفاءة الجندي الاسرائيلي والطيار المقاتل الذي يستطيع أن يطلع عدداً من الطلعات في اليوم ضرب رقماً قياسياً بين طياري العالم كله ٠

وفي المقابل هونوا من شأن المقاتل العربي وقلة وعيه وانعدام ثقافته ودناءة روحه المعنوية وتردي كفاءته القتاليـــة ٠

وكانت هذه الشائعات ومرورها على الناس وتأثرهم بها ، أخطر من النكسة ٠

= ثم جاءت الجيوش العربية فقضت قضاء تاما على الشعب الفلسطيني ووصمته بالتجسس والخيانة والعمل لصالح الاعداء ، وكان ذلك بفعل دعايات الانجليز واليهود ٠٠ وهكذا اخرج الشعب المكافح من مسرح الحرب وقضي عليه أن يظل بعيداً عن الميدان ويحرم حتى من حق الدفاع عن وجوده وكيانه ٠٠ ص ٤٣ ط ٣ ٠

ولعل من أهم أسباب رواج اشاعات اليهود الكبت السياسي في عالم العرب ، وتدهور الأمور وتفاقم الفساد وشيوع التسيب مما جعل الأمل في مستقبل هذا العالم يبدو ضعيفاً واهناً ، مما يسهم في تضخيم صورة العدو الاسرائيلي .

وكان هذا الواقع الفاسد أيضاً أخطر على نفسية الفرد العربي من اسرائيل واشاعات اسرائيل .

وعلى الصعيد العربي في ابان الخمسينيات والستينيات ، نشطت أسواق العرب التجارية الكلامية والتهريجية البهلوانية وفشت العنتريات .

واستغلت اسرائيل هذه السلبيات وعكستها على الغرب مع التضخيم والمبالغة ، وأصبحت كلمات زعماء تلك المرحلة ومُعلّقيها شعارات تحذيرية ترفعها الصحف والأبواق الصهيونية المسيطرة في الغرب .

والملاحظ أن الشعب الاسرائيلي يقوم بدوره الفعال في بث الشائعات ، فمزاعم التعايش وحسن الجوار وحب السلام ، والمستقبل المشترك البسام ، والقرابة التاريخية وماشاكل من المعزوفات الدعائية ، كل هذه تجد الشعب

اليهودي كله يروج لها أينما حل ، وكأنهم لقنوها من شيطان واحد .

ففي كل مجلس يجمعهم مع العرب في الأرض المحتلة يرددون هذه الفرية ويكررون نفس المقولة .

وفي أعقاب حرب سنة ٧٣ ، والمقاطعة البترولية العربية - التي يقال انها حصلت - نشطت أجهزة الصهيونية وابواقها في تسويد صورة العربي في الغرب وبث الحقد عليه بوصفه عدو الانسان الأوربي والأمريكي والذي يمكن تحت أي تهديد أن يشكل خطراً على الحضارة الغربية ، ومن هنا فان على الغربيين أن يتداركوا هذا الأمر ويعالجوه علاجاً جذرياً ، وقامت فكرة تشكيل قوات التدخل السريع بوحي من شياطين اليهود الذين يبثون سمومهم في الغرب عبر وسائل الاعلام التي يمتلكونها(٣) .

---

(٣) وهم يمتلكون أغلب وسائل الاعلام ، ومما روجه اليهود عبر تلفاز الغرب (فيلم سينمائي) يحكي قصة فتى عربي اسمه مصطفى يعيش وسط أسرة يهودية تأخذه في رحلات فيرفض التكيف ، ويهيئون له مناماً نظيفاً فيتسلل منه الى حظيرة المواشي ليصلي هناك وينام .. الخ . =

وكثيرة هــي الاشاعات التي يسهر عليها يهــود وينشرونها وسط عرب الأرض المحتلة أو غيرهم • ومن هذه الاشاعات كثرة عملائهم وجواسيسهم من بين العرب الى حد يوهمون معه السكان أن كل انسان يمكن أن يكون من مخابرات وجواسيس اليهود • ورواج مثل هذه الشائعة التي قد تصدر أحياناً في صورة نصيحة : لا تأتمنْ أحداً على خبيئة صدرك ، لا تثق ولا بأقرب الناس اليك ، الجدران يمكن أن يكون لها آذان ، الصمت أنجى ، وغيرها من النصائح •• رواجها يفتك بروح الأمة ويصفيها من المعنويات وقد تكون الاشاعة في صورة خبر مجرد عن كثرة الجواسيس وقد يكون المروج له نفس الجواسيس ليبعد عن نفسه التهمة ، وليقطع جسور الثقة بين أفراد الشعب •

ومـمـا يشيعون وسط الناس هنــاك أن أجهزتهم الاستخبارية النشطة وسط البــلاد العربية لا تغادر

= وغيره من الافلام التي تعمق صورة عن العربي الشهواني الجشع الى المال والمتعة الذي لا يحسن شيئاً ، وهو عالة على الانسانية كل عليها يمتص خيراتها دون مجهود أو مردود •

ونقول والاسف يقطع نياط القلب ان كثيراً من رعاعنا ـ يعمقون هذه الصورة أكثر من اشاعات اسرائيل وأفلامها •

صغيرة ولا كبيرة الا وتحصيها ، وأحياناً ياتي الطالب ليراجع بشان التصريح ليخرج للدراسة ، فيستدعونه ويلقون في روعه هذا الأمر ، ثم يطلبون منه أن يزودهم هو أيضا بما استطاع عن أحوال وأوضاع الناس في البلد الذي سيخرج اليه ، وهو لن يزيدهم أي علم ـ كما يقولون ـ فقط ليشعروا أنه متعاون يستحق أن يسهلوا له أو لا يستحق ويوقعون في وهمه أيضاً أن أغلب زملائه الطلاب استجابوا فَلِمَ المعاندة من قِبَله هو والتشدد ، ثم يقولون له : هذا مؤشر أنك تقوم بأعمال ضد اسرائيل ، ليرهبوه بعد الترغيب ـ وهكذا من الأساليب .

ومن آفانين اليهود في الاشاعة أنهم يصنعون الزعامات الموالية لهم عن طريق التعليق عليهم ووصفهم بالتطرف وأنهم أعداء اسرائيل ، ولبساطة تفكير شعبنا وعدم معرفته بسبيل المجرمين اليهود وكيدهم وعدم وعيه على ألاعيبهم وأحابيلهم فانه يأخذ الأمور على ظاهرها ويطبق عليها مقياس : عدو عدوي وليي وصديقي ـ وكم عظمنا من طواغيت خدموا اسرائيل منطلقين من سذاجتنا ورواج حيل عدونا الاعلامية فينا ، ووقوعنا فرائس لمكايده وشراكه الخداعية الاشاعية .

وفي المقابل قد يتظاهرون بالود لفرقاء وهم يضمرون لهم أقصى ما يمكن تصوره من الضغينة والحقد والمكر السيء ، ولكنهم يفعلون هذا ليشوهوا صورتهم لدى الجماهير على القاعدة نفسها : صديق عدوي عدوي .

ولقد أخبرني الكثيرون من الداعين الى الله المخلصين من أبناء الضفة أن اسرائيل وعملاءها من العرب ينشرون وسط الناس أن المتدينين مرضي عنهم في اسرائيل وأن كثيرين منهم يعملون مع اسرائيل ..

وعلى النقيض يشيعون عن الماركسيين مثلا فيظهرونهم أمام عيون الشعب في أثواب المناضلين الذين تطاردهم اسرائيل وتسعى لتصفيتهم لخطورتهم عليها ، وهم في الواقع يسرحون ويمرحون ومنهم رئيس بلدية وعضو كنيست .

والخلاصة أنه كما ينبغي لنا الاستعداد على الصعيد العسكري والتنبه لاسلحة العدو وما يجد منها وخصائص كل سلاح وفعاليته فكذلك ينبغي الانتباه الى هذا السلاح .. سلاح الاشاعة والاعلام ، وعدم الاغترار بظاهر قول عدونا ، فان له أهدافا وراء هذا الظاهر .

خطر الاشاعة

تعتبر الاشاعة من أخطر الاسلحة الفتاكة والمدمرة للمجتمعات أو الاشخاص • وكم أقلقت الاشاعة من أبرياء وحطمت عظماء وهدمت وشائج وتسببت في جرائم وفككت من علاقات وصداقات وكم هزمت من جيوش وأخرت من سير أقوام ؟!

لخطرها وجدنا الدول تهتم بها والحكام يرقبونها معتبرين اياها مقياس مشاعر الشعب نحو النظام صعوداً أو هبوطاً وبانين عليها توقعاتهم للأحداث سواء على المستوى المحلي أو الخارجي •

لسنا مبالغين حين نقول ان ما واجهه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الافك هو حدث الأحداث في تاريخه عليه الصلاة والسلام • فلم يمكر بالمسلمين مكر أشد من تلك الواقعة ، وهي مجرد فرية واشاعة مختلقة

بيّنت السماء كذبها ، لكنها لولا عناية الله كانت قادرة على أن تعصف بالأخضر واليابس ولا تبقي على نفس مستقرة مطمئنة ، ولقد مكث مجتمع المدينة بأكمله شهراً كاملا وهو يصطلي نـار تلك الفرية ويتعذب ضميره وتعصره الاشاعة الهوجاء ، حتى تدخل الوحي ليضع حداً لتلك المأساة الفظيعة ، وليكون درساً تربوياً رائعاً لذلك المجتمع ولكل مجتمع مسلم الى قيام الساعة وصدق الله :
« لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم » .

وللاشاعة قدرة على تفتيت الصف الواحد والرأي الواحد وتوزيعه وبعثرته ، فالناس أمامها بين مصدق ومكذب ومتردد متبلبل ، فَغَدا بها المجتمع الواحد والفئة' الواحدة فئات عديدة ، ولتصور هذا الخطر وهذه الشرذمة التي تحدث والشروخ التي تصيب المجتمعات التي تحدث فيها الاشاعة نسوق هذا التصوير الرياضي لانتشار الاشاعة :

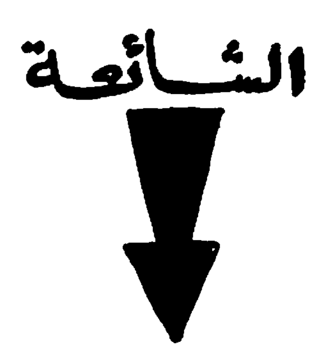
الانموذج الرياضي لانتشار الاشاعة :

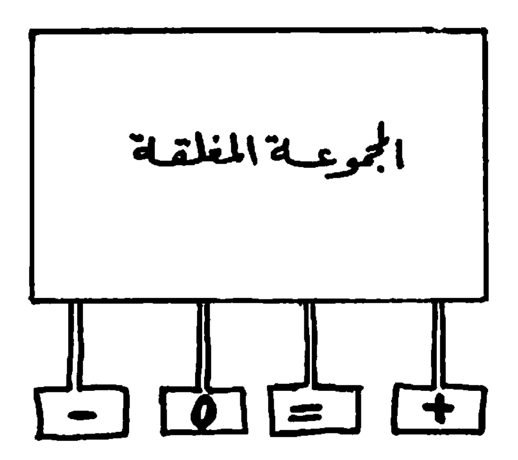
ان القضية التي يخبر عنها أو تشاع في ظرف معين سواء كانت حقيقية أم من نسج الخيال ، فانها تجعل الأفراد ازاء سماع الخبر يتخذون مواقف متأرجحة هنيهات قليلة ثم تستقر . ولكنها كلها تتراوح بين المواقف المؤيدة التي تتبنى الخبر كحقيقة مؤكدة وتدعو الآخرين لتبنيه والدعوة اليه . والمواقف التي تنفي الخبر وتسعى لتفنيده لدى الآخرين .

وتوجد بين هذين الموقفين مواقف عدة يتوزع أفراد المجموعة حول كل منها توزعاً احصائياً قد ينتظم وفق أحد القوانين الاحصائية .

ان ما يحدث اذن هو تجزؤ المجموعة المغلقة الى مجموعات جزئية مفتوحة على بعضها بحيث يتمكن الأفراد من المرور فيما بينها بالاتجاهين .

وهذه مجموعة أشكال لتقريب المعنى وتصويره بطريقة رياضية :

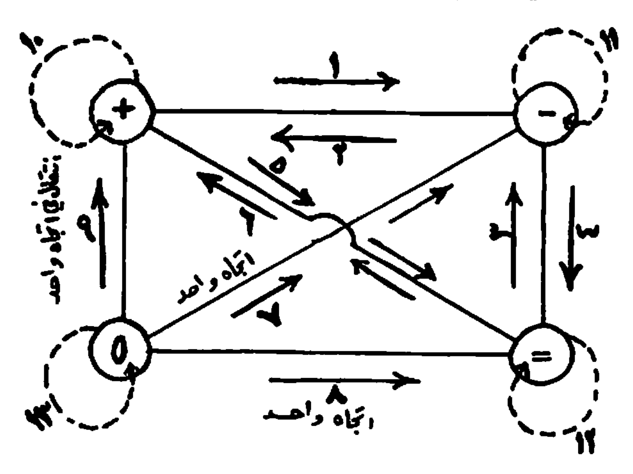




الاصطلاحات : (+) فئة المتجاوبين
(−) فئة المنكرين
(=) فئة اللامبالين
(٥) فئة من لم يسمعوا بعد بالشائعة

ان عدد عناصر كل من هذه الفئات او حجومها هي أعداد عشوائية ، ولكنها بمجموعها تشكل عدد أفراد المجموعة المغلقة • ولو عبرنا عن هذا بصورة معادلة رياضية لكانت : (+) + (−) + (=) + (٥) = عدد أفراد المجموعة المغلقة •

أما تغير مواقف الأفراد وانتقالهم من موقع الى موقع ومن حالة الى حالة ، فيمكن أن نمثل له بالشكل الهندسي التالي :



تشير الاسهم الى امكانية الانتقال باتجاه أو بآخر أو بكلا الاتجاهين •

ومن خلال هذا الشكل نرى أن الطرق رقم ٧ ، ٨ ، ٩ هي طرق أحادية الاتجاه حيث أن الاتجاه المعاكس اتجاه مستحيل • بينما الطرق الستة الأولى ذات اتجاهين • بالاضافة الى هذه الطرق التسعة توجد طرق داخلية يعبر عنها في الشكل الدوائر المنقطة التي تعبر عن وجود التحرك الذاتي للفرد الواحد من الفئة الواحدة سواء غير اتجاهه أم لم يغيره[١] •

ومعنى هذا وخلاصته تقطيع وتوزع وتردد في متاهات ، وانشغال عن الخارج ، لأن كل هذه الحركة التي عبر عنها الرسم انما هي جهد ضائع وانتقال سلبي لا جدوى معه ، ومعنى هذا أن العدو يستطيع أن يشل أي مجتمع وأن يقطعه ببث الشائعات ، كما رأينا من خلال الرسم ، ويحيله فئات وأمماً بعد الوحدة والاجتماع ما لم يكن هذا المجتمع معتصما بحبل متين كما اراده الله•

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمةَ الله عليكم اذ كنتمْ أعداءً فألَّفَ بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً » •

« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » •

---

(١) مجلة الفكر العسكري سنة ٤ عدد ١ •

تفنيد ومقاومة الاشاعة

بعد ان علمنا خطر الاشاعة لا بد من معرفة وسائل التحصن منها والدفاع ضدها • وقد يتبادر الى الذهن أن توفير المعلومات الصحيحة يطفيء الاشاعة ، ويضيق عليها الخناق ، والحقيقة آن النظرة للموضوع بهذا الشكل تبسيط شديد للاشاعة ولعلاجها ، اذ قد تروج رغم توفر المعلومات الصحيحة ، لأن المعلومات والجدل ليسا كافيين لمحو الشائعات التي تعيش على المخاوف والأحقاد ، فهذه الشائعات تكمن دوافعها في نفوس مروجيها وليس من السهل انتزاعها منهم •

ومن هنا فقد كان لا بد في المعالجة من التفهم الشامل للقضايا المتعلقة بالاشاعة ، ولا بد قبل ذلك ومعه وبعده من تماسك اجتماعي وثقة متبادلة بين مختلف فئات الشعب ، وبين القاعدة والقمة •

وقد نبه القرآن الكريم ـ في اجمال ـ الى علاج الاشاعة من خلال رده على مفتريات الافك واشاعات المنافقين حول البيت النبوي الطاهر ، فقال :

١ ـ « لولا اذْ سمعتموه ظَنَّ المؤمنونَ والمؤمناتُ بأنفسهم خيراً ، وقالوا هذا افكٌ مبين » وهو ما أطلق عليه المرحوم سيد قطب في الظلال : طلب الدليل الداخلي ، وأورد حديث أبي أيوب الأنصاري وزوجه وسؤال كل منهما الآخر : أرأيت لو كنت مكان صفوان أو كنتِ مكان عائشة أكنتَ فاعلا أو كنتِ فاعلةً من ذلك شيئاً ، فيجيب كل منهما صاحبه : لا والله ، ثم يقولان : وصفوان خير مني • وعائشة خير مني •

فالأصل احسان الظن المتبادل بين المؤمنين والمؤمنات ما لم يثبت بدليل قطعي ما يخرم ويخدش هذه الثقة كما قال الله تعالى :

« لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء ، فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون » • وهذا ما أطلق عليه الظلال : تطلب الدليل الخارجي •

٢ ـ ثم بينت سورة النور وسيلة علاج أخرى بعدم تداول الخبر فقالت :

« ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم » • وهذه في الواقع

أجدى وسيلة لهدم اشاعة ما ، لان حياة الاشاعة في تناقلها وتداولها ٠

٣ ـ ووسيلة أخرى من وسائل العلاج التطويق أو الهجوم غير المباشر بتنسيق وتعاون بين جهاز محاربة الاشاعات وفئات الشعب ، وذلك عن طريق تسوية مشكلة الاشاعة بالقضاء على المتاعب التي انطلقت منها الاشاعة ، مثال ذلك أن يكون في مجتمع موضع غير نظيف تنطلق منه أنواع الجراثيم ، فيكون الاجدى من الانشغال بمقاومة هذه الجراثيم ازاحة مصدرها ، وتطهير البيئة من ذلك المنطلق العفن ٠ فاسباب متاعب الشعب وضيقه منطلق من منطلقات الاشاعة ، والأشخاص المضيقون على معيشته هم أيضاً سبب آخر ، فللقضاء على الاشاعات في هذا الجانب يحارب مصدرها ٠

فالعلاج القرآني يتلخص في التماسك الاجتماعي ، وثقة المؤمنين ببعضهم ، ثم عدم اشاعة الفاحشة في مجتمعهم بعدم تناقل الأخبار ، وَعَدُّ ناقل الأخبار عن الناس قاذفاً يستحق الجلد والعقاب الاجتماعي بعدم قبول الشهادة ٠

هذا الضبط اللساني الشديد أدب وخلق حرصت تعاليم هذا الدين على ايجاده في المسلمين • ففي القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » •

« والذين هم عن اللغو معرضون » •« واذا مروا باللغو مروا كراماً » • « ولا تقف ما ليس لك به علم انَّ السمعَ والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنهُ مسؤولا » •

« ما يلفظُ من قولٍ الا لديه رقيبٌ عتيد » •

« ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً • » •• « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة » ••

وفي السنة : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » •

« كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع » •

« كفى بالمرء اثماً أن يحدث بكل ما سمع » • رواه مسلم •

« الغيبةُ ذكركَ أخاكَ بما يكره » •

« وهل يكبُ الناس على وجوههم في النار الاحصائد السنتهم » .

وهذا العلاج تربوي اجتماعي يتم على مستوى الأمة كلها ومن خلال أجهزتها المختلفة من تربية وتعليم وتوجيه واعلام ، وكأي عملية تربوية فانه يعطي ثمراته على المدى الطويـل ، ويقاوم الحرب النفسية والاشاعات بأسلوب غير مباشر .

وقد يتخصص للاشاعة جهاز معين يتكون من فئات الأمة المختلفة ويضم الأجهزة المختلفة فيها من عسكريين واقتصاديين وتربويين وسياسيين وتكون مهمته دراسة ما يروجه الأعداء من حرب نفسية واشاعات وردها من خلال أجهزة الاعلام المختلفة .

وتتركز أهمية هـذا الجهاز في أوقات الأزمـات والحروب وتستمر في الأيام العادية وهناك جملة ملاحظات ووصايا لهذا الجهاز ينبغي مراعاتها حتى يتحقق له النجاح الكامل ، منها :

١ ـ عدم الرد الفوري الارتجالي ، بل الدحض بعد المداولة والعرض على المختصين المعنيين .

٢ ـ ينبغي أن يكون الرد منطقياً مدعماً بالوقائع والأرقام ، اذ الرد الضعيف غير المدعم بالحقائق يقوض الثقة ، ويذهب بهيبة الجهاز ·

٣ ـ عدم المغالاة ازاء الحالة المطروحة بالنفي المطلق ، فكثير من الاشاعات فيها نواة للحقيقة ينبغي أن تذكر ، فتزداد الثقة حينئذ ·

٤ ـ لا تنسب كل الاشاعات للعدو ، لما يترتب على ذلك من تضخيم صورة العدو في الذهن ومن عدم تصديق الجماهير لشعورهم أن هذه الجهة هي الشماعة التي يعلق عليها الجهاز مشاكله ·

٥ ـ ضرورة وضع الاشاعة في سياق انكاري قبلي وبعدي ، بمعنى ان تحاط الاشاعة بدءاً وختاماً بالانكار ، حتى يكون هناك تمهيد ذهني وتقرير فكري · أما أن تعرض الاشاعة مباشرة وبشكل فجائي بلا تمهيد فقد تعلق بالذهن ·

٦ ـ حطم العبارة الأصل للاشاعة ، وذلك لان الاشاعة في الفاظها الأصل ملفتة للنظر مؤثرة ، فلا تعرض في ثوبها الأصل ، بل يعرض المعنى أو القضية

في ثوب مهلهل ، فالاشاعة تسهر على صقلها أجهزة والسنة ، وتتهذب ألفاظها بالتداول حتى تصبح في أجمل قالب لفظي ، وأشده تأثيراً وأدعاه للتصديق ٠

٧ ـ اهمال الاشاعات الخاملة ، فما كل اشاعة تستحق الرد والدرس ، فعدم اشغال الجماهير بالمتهافت من الاشاعات أجدى واكثر تأثيراً وجدية ٠

٨ ـ التزام الموضوعية في الرد ، بحيث لا يكون الرد فرصة لا بداء وجهات النظر الخاصة ٠

٩ ـ العرض الجاد للاشاعة لا على أنها مجرد تسلية أو فكاهة ، مع التنبيه على ما تتضمنه من أخطار ٠

١٠ـ الحيطة في الرد ، والذكاء ، حتى لا يعمل الجهاز على نشر الاشاعة بدلا من طمسها ٠

ويمكن للجهاز أن يستغل وسائل الاعلام ، وأن يهاجم الاشاعة بملصقات أو عبارات قوية تكرر في تلك الملصقات أو في الصحف والاذاعات مثل :

١ ـ الاشاعة كذب ، وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون ٠

٢ ـ الاشاعة ظن ٠ وان الظن اكذب الحديث ٠

٣ ـ الاشاعة وهم وخداع وتضليل ٠

٤ ـ العاقل لا يعول على الاشاعة لانها غير جديرة بالثقـــة ٠

٥ ـ الاشاعة سلاح من أسلحة العدو ٠

٦ ـ الاشاعة تحطم المعنويات وخائن من ينشرها ٠

٧ ـ الاشاعة اسقاط لما في النفس على الآخرين ٠

٨ ـ الاشاعة وسيلة الجبان والحسود والمنافقين ٠

وهناك وسيلة أخـرى لمقاومة الاشاعة باستعمال السلاح نفسه الذي يستعمله الخصم ، وذلك عن طريق الاشاعة المضادة ، كما قال نوح عليه السلام : « ان تسخروا منا فانّا نسخرُ منكم كما تسخرون ، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ، ويحل عليه عذاب مقيم » ٠ على أن الاشاعة المضادة « لا يمكن أن تولد في أمـة مريضة لا تمتلك قابلية الشفاء ، أمـا الأمـة الاسلامية المحصنة فكرياً فيستطيع كل فرد فيها أن يرد السخرية على قائلها بدل أن ينشرها في صفوف الأمة ٠

والرأي العام في الاسلام يمتلك من الايجابيات ما يجعله قوة لها شأن في تثبيت اتجاهات الرأي العام ، وضرب الآراء المضادة ، وصد تيارات الاشاعة التي تأتي من الخارج »[1] .

قال في كتاب الحوار في القرآن معلقاً على الآية الكريمة التي صدرنا بها هذه السطور : « ان بامكان الداعية أن يستخدم أسلوب السخرية كرد فعل لسخرية خصومه فيما اذا استنفد الوسائل الرسالية معهم دون جدوى لأن من غير الطبيعي أن يسكت ، أو يرد بالكلمة الطيبة في موقع تتحول الكلمة الطيبة فيه الى مجال للسخرية والاستهزاء .

ان أساليب السخرية التي يستخدمها خصوم الرسالات ، جزء من وسائل حرب الأعصاب التي يراد منها تدمير المؤمنين تدميراً معنوياً لدى أنفسهم ولدى الآخرين بما توحيه من اعطاء صورة واضحة عن قابلية الفكرة وأصحابها للسخرية ، ولاعتبارها موضعاً للتندر والاستهزاء ، مما يمنع الآخرين عن الانتماء اليها خوفاً

---

(١) زهير الاعرجي : الراي العام الاسلامي ، ص ٤٨ .

من التعرض لذلك ، ويضعف الروح المعنوية لدى أصحابها . ولهذا فانها لم تنشأ من حركة عفوية ، بل كانت خاضعة لخطة مدروسة .. فلا بد من مواجهتها بخطة مثلها أو أفضل منها حيث يحشد فيها الدعاة كل ما لديهم من الموهبة الشخصية في فن السخرية والتندر بأفكار الآخرين وشخصياتهم كوسيلة من وسائل الدفاع عن النفس والعقيدة ، حتى ينتهي الأمر الى تحطيمهم نفسياً ومعنوياً ، بالسلاح نفسه الذي حاربونا به»[2] .

* * *

وهذه خلاصة وسائل علاج ومقاومة الشائعات :

١ ـ عدم ترديد الاشاعة .

٢ ـ رصد الشائعات وتحويلها الى جهاز مختص .

٣ ـ التماسك الاجتماعي والثقة المتبادلة وحسن الظن والتفسير الحسن لسلوك الناس وتصرفاتهم ما لم يثبت العكس بدليل قاطع .

---

(٢) محمد حسين فضل الله : الحوار في القرآن ، ص ٢٣٢ .

٤ ـ اصدار البيانات وتوفير المعلومات عن القضية أو الموضوع الذي أثار غموضه ظنون الناس وشكوكهم وهواجسهم واطلق السنتهم بالاشاعة ٠

٥ ـ النهذيب الخلقي والتربية السليمة التي تطبع الناس بالصدق والجد والانصراف الى المهم وعدم التلهي بمضغ الاحاديث ، وسفاسف الأمور ٠

٦ ـ التنسيق بين أجهزة الدولة المختلفة وخاصة وسائل الاعلام لأن تناقضها يثير الخيال ويطلق الأقوال٠

٧ ـ اقتفاء خط سير الاشاعة وتتبع مسارها للوصول الى جذورها ووضع اليد على مطلقيها ومحاسبتهم بحزم ٠

٨ ـ العلم بالاشاعة والتحليل السليم لها والفهم القائم على الأسس العلمية ومعرفة الدوافع النفسية ٠

٩ ـ الصلة الوثقى بين القاعدة والقمة بحيث يقطع الطريق على كل محاولات الدخول بين الطرفين ٠

١٠ـ الحرية والنقد الذاتي والتصحيح الفوري الحازم للأخطاء ٠

وفي ختام الحديث عن مقاومة الاشاعة نقول ان المجتمع الاسلامي الذي صنعه المنهج الرباني هو أكثر المجتمعات تحصناً ضد الاشاعات ، ومناعة تجاه الحرب المعنوية • بما أوتي من تماسك ، ومن منهج في التفكير والاستدلال لا يأخذ بالظن ولا يتوقف عند الشكوك ، ومنهج أخلاقي يمنع الاغتياب ، والطعن في الأعراض ، والخوض في الحرمات ، ومن حراسة على هذه المباديء جميعاً أن تمس •

بهذه جميعاً تفوق المجتمع الاسلامي على الدنيا في مقاومة الاشاعة ، ويملك أن يتفوق اليوم ويصمد لأي حرب نفسية ان اتبع المنهج نفسه واتخذ نفس الاحتياطات •

طرق الوقاية من الحرب النفسية
في المجال العسكري خاصة

١ ــ « الايمان وقوة العقيدة : ان العقيدة الراسخة المؤسسة على الايمان الذي لا يتزعزع هي الركيزة العظمى للتحصين ضد الحرب النفسية ·

فالمؤمن ايماناً كاملا لا يخاف الوعيد ولا يرهب التهديد ، وليس جباناً رعديداً كأولئك الذين يقول الله فيهم : « فاذا جاءَ الخوفُ رأيتهم ينظرون اليكَ تدورُ أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت » ·

بل ان المؤمن لا يزيده التهديد والوعيد وأساليب الحرب النفسية المختلفة الا ايماناً وثباتاً واستعداداً للبذل والتضحية كأولئك الذين قال الله فيهم :

« الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالــوا حسبنا الله ونعــم الوكيل » · ويتفق علماء النفس وخبراء الحرب النفسية على أن الحرب النفسية تؤثر بفعالية اكثر على الجنود الخالين من العقائد الثابتة وذوي الوعي السياسي الضيق وغير المثقفين ·

لذلك كان الايمان بالنسبة للمسلمين نوراً يهديهم وكان بالنسبة للأعداء صخرة تتحطم عليها أساليبهم ومحاولاتهم للنيل من معنويات المسلمين ٠

٢ ـ الوعي والمعرفة بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية ٠

عني القرآن أشد العناية بكشف أهداف أعداء الاسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين وأساليبهم ومحاولاتهم للتفريق بين المسلمين والقضاء على وحدتهم وأمتهم وللتخذيل والتوهين وتثبيط العزائم ، وأرشد المسلمين الى طريق مواجهتها ومقاومتها والقضاء عليها ٠

والواقع ان الوعي والمعرفة بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية من أهم وسائل تحصين المقاتلين ضد آثار تلك الحرب ، فهي من وجهة نظر علم النفس تجعل المقاتل مستعداً استعداداً نفسياً لمواجهتها وعدم التاثر بها ٠

وهذا الوعي يكون عن طريق فضح محاولات التفرقة ومقاومتها :

« يا أيها الذين آمنوا انْ تُطيعوا فريقاً من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين » ٠

وعـن طريق كشف محاولات التخذيـل وتثبيط العزائم ، وتطهير الصف المسلم والجيش المسلم من المخذلين :

« ‥ فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فَقُل لن تخرجوا معيَ أبداً ولن تقاتلوا معيَ عدواً ، انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين » ·

وعن طريق كشف محاولات زعزعة الثقة في النصر ، سواء كانت من داخل الصف أو من خارجه ، وعن طريق كشف التهوين من قيمة النصر أو الانجاز الذي أنجزه الصف الاسلامي كما حدث بعد بدر ·

وعن طريق القضاء على محاولات التخويف والضغط النفسي ، ومن أمثلة محاولات التخويف من قبل اليهود قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم لئن حاربناك لتعلمن أنّا نحـنُ الناس ، ومنها كذلـك تخويف قـريش للمسلمين بعد أحد بأنها جمعت لهم ·

٣ ـ كتمان الاسرار ومنع ترويج الشائعات :

ان توجيهات الاسلام تسد منافذ الحرب النفسية ، ولا تعطي غير أهل العلم من القادة والرؤساء حق الحديث عن كل ما يتصل بأسرار الجيش والأمة ، لأن هؤلاء أدرى بما يصلح أن يقال وما لا يقال ·

وفي ذلك الآية الكريمة : « واذا جاءهم أمرٌ من الأمنِ أو الخوفِ أذاعوا به ولو ردُّوه الى الرسولِ والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم »[1] .

وفي هـذا الميدان يمكن أن نستفيد مـن تجارب الشعوب كلها وخبرتها في هذا الحقل ، وكيف أن الوعي يعني الانتصار ، وأن قلة الوعي والالتزام تعني الخذلان والانهزام ، اذ من المعلوم أن المفاجأة في العمل العسكري من أهم مقومات النصر . وكيف يتأتى لك أن تفاجيء خصمك بسلاح أو بتعبئة أو بتكتيك أو خطة اذا كانت عناصرك ثرثارة ، تزايد على بعضها بمعرفة المعلومات وسعة الاطلاع ، والقرب من المصادر المسؤولة ومنابع الأخبـــار .

وتعجب كيف استطاعت أمريكا أن تنشيء مصانع هائلة للتفجير الذري وتفاجيء ألمانيا واليابـان بهذا السلاح ولم تشع جهة من الجهات الكثيرة المتعاملة مع تصنيع هذا السلاح من مقاولين وعمال واساتذة جامعات، ومجاوريـن ، ورجال اعلام ، كيف تكتمت كل هـذه الأطراف على سر هذا السلاح حتى فاجأوا خصمهم به وحققوا حسم المعركة !؟

---

(١) المدخل الى العقيدة الاستراتيجية العسكرية الاسلامية باختصار وتصرف من ص ١٢٥ ـ ص ١٣٤ .

خاتمـــة

هذه العجالة عن الاشاعة فاتحة لبحث مستفيض حولهـا يتضمن دراسة ميدانية تحليلية للاشاعـات المطروحـة ٠

وانما دفع الى تسويد هذه الصفحات كون ساحتنا واقعة تحت تأثير منخفض اعلامي اشاعي دنس يريد لها أن تستسلم لحلول تجهز في مطابخ السياسة الدولية التي تقودها أصابع الشيطان ٠ فكان لا بد من جهد في هذا المضمار ، خاصة وأن المكتبة الاسلامية في حاجة الى تناول اسلامي لهذه الظاهرة ، وعرض لها من منطلقات المصلحة الحقيقية للجماهير ، والرؤية الصحيحة للواقع٠

وكان لا بد من تحذير من أهداف العدو من خلال بحث هذه الظاهرة لأنها وثيقة الصلة به ، وبفهمهما نفهمه ، ونحذر منه ومن أهدافه ٠

وكان لا بد من التنبيه الى أن تضليل الجماهير بتضبيب واقعها ، وتغييب النوايا الحقيقية لعدوها هو من ضمن أهداف خصمنا ٠ وأنه ينبغي الحذر والذكاء

بل الدهاء في معاملة مثل هذا الخصم ، فما يندّ عنه ويبرز من مقولاته شيء ، وما يضمره ويخفيه شيء آخـــر ٠

وعلى الأقلام المخلصة أن تتساعد في صياغة الواقع الأفضل والمستوى الخلقي الأرفع حتى تتجنب أمتنا مزالق الطريق وأشواك الدرب ، وحتى تستعلي على المؤامرة ، وترتقي فوق هوة اليأس التي يدفعها اليها العدو دفعاً ٠

ويــوم أن تتهذب تصوراتنا وأفكارنا وأخلاقنــا وألسنتنا وظنوننا وعلاقاتنا ، يوم تسمو كل هذه ، أو يوم تسلم كل هذه لله رب العالمين نكون قــد اجتزنا خندق الاشاعة ، ويكون واقعنا أعز وأمنع من أن تناله سهام الطامعين وأحقاد الحاقدين وأراجيف المرجفين ٠

والحمد لله رب العالمين

الفهـــرس

مديرية المكتبات والوثائق الوطنية
رقم الايداع لدى
(٣٠١) /١٩٨٣/٦